لدرمان المغرب

استراتيجية المغرب الطاقية...

رهان القوة الإقليمية

افتتاحية

دفاعا عن مي ايزة

في الوقت الذي ننتظر من الأعمال الفنية أن ترتقي إلى مستوى تناول مواضيع السياسة والتاريخ والاقتصاد، وتطرح قضايا المصيرية والحيوية التي تهم عيشنا المشترك فوق هذه الرقعة من العالم، نخرج تباعا لإضافة طابوهات جديدة: المحامون وسائقو سيارات الأجرة والشيخات والآن أساتذة التعليم ويعلم الله ما هي الطابوهات الجديدة القادمة.

إنتاجاتنا الفنية، الدرامية والفكاهية، سواء منها الرمضانية أو "الشعبانية"، تعاني أصلا فقرا في الابداع، وقصورا في الجرأة وتكرار للمواضيع، ونأيا عن الإشكالات والقضايا الحساسة والخطيرة، فإذا بالمجتمع يتحرك لتضييق الخناق.

مناسبة هذا الكلام هو الضجة الجديدة، المؤسفة والمفتعلة، حول السلسلة الترفيهية "أولاد مي ايزة"، بدعوى إساءتها لموظفي التعليم والأساتذة. ومسارعة عشرات الهيئات المهنية والنقابية إلى اصدار البلاغات المنددة والرسائل المحرضة الموجّهة إلى الهيأة العليا للاتصال السمعي البصري. وهو ما يحمل على الحزن والأسف الشديدين، بل والخوف مما تعبر عنه مثل هذه الأحداث لمستقبل الحرية والتعايش والاختلاف في هذه البلاد.

كما كان الحال في كل مرة تثير فيها هذه الأعمال الرمضانية زوابع اجتماعية، قمت "على سعدي ووعدي" بالبحث عن تسجيل الحلقة الأولى من هذه السلسلة، لأن العاصفة انطلقت في اليوم الأول لرمضان، وأنفقت ربع ساعة تقريبا لمشاهدة ما لا يستهويني ولا يعجبني أصلا كمحتوى ترفيهي، فوجدتني مضطرا لإعادة المشاهدة، بل وانتظار الحلقتين الثانية والثالثة لعلي أفهم أكثر، فلم أجد ما يمكن أن يبرر غضب الأساتذة ولا التجار ولا الحرفيين.

سلسلة عادية جدا، بل فيها بعض الاجتهاد في الكتابة والتصوير، وتحكي مواقف يفترض أنها مضحكة (شخصيا لا تضحكني) تدور في بيت "مي ايزة" التي تعيش مع ابنها الوحيد، والذي سيتزوج ب"بنت الدوار" كمدخل لانخراط شخصية جديدة، ثم سيلتحق به أخ عاش في كنف عمة بعيدة، كمطية لظهور شخصية مختلفة عن "ابن الدوار"، رفقة زوجته القادمة من أوربا... والعقدة التي فجرت غضب بعض الهيئات المهنية والنقابية، هي أن البطل أستاذ.

> **مهنة ووظيفة التعليم غائبة أصلا وبشكل شبه كلي عن أحداث ومشاهد السلسلة**

هل أساءت السلسلة لموظفي التعليم؟ الحقيقة أنني لم أجد ما يمكن أن يحمل على الشعور بالإساءة. مهنة ووظيفة التعليم غائبة أصلا وبشكل شبه كلي عن أحداث ومشاهد السلسلة. لا حضور للعملية التعليمية ولا القسم ولا المدرسة ولا التلاميذ... وكل ما في الأمر هو أن الشخصية ذات الملامح والهندام والسلوك الذي يحيل على قالب نمطي يحمل على التندر والسخرية، لها مهنة اسمها التعليم.

طيب هل كان على مخرج العمل وكتّابه أن يختاروا لهذه الشخصية مهنة أخرى؟ ولماذا؟ هل من مهنة أو وظيفة أو انتماء قبلي أو عرقي أو جهوي، يحزم تجسيدها؟ وهل يعقل أن نطالب المبدعين والفنانين بتغييب كل ما هو قدحي ومشين في الواقع، وتصويرنا كمجتمع من الملائكة؟ ثم هل نحن عاجزون إلى هذا الحد عن التمييز بين الأخبار وأعمال الخيال؟

لنفترض أن شخصية الأستاذ في هذه السلسلة شريرة أو فاسدة، بينما هي في الواقع غريبة الأطوار لا غير، هل يعقل أن في مجتمع الأساتذة لا يوجد سوى الأبطال والأتقياء؟ ما دور الفن إن لم يكن استحضار أعطاب ومشاكل المجتمع وفتح الأعين عليها بطريقة فنية؟ وما العمل مع مظاهر الفساد والانحراف التي تخترق مجتمع التعليم كما في جميع الأطياف والفئات؟ ألم نصادف الأساتذة في مسارنا التعليمي ووجدنا بينهم المجتهد والمناضل والمكافح والكريم والنزيه، لكن أيضا المرتشي والمبتز والغشاش والمتحرش...

شخصيا لن أجد في أي عمل في يستحضر الجانب الفاسد في الصحافيين أية إساءة أو تحقير. لأن بين محترفي هذه المهنة شرفاء ونزهاء كثر، لكن هناك أيضا صحافيون فاسدون، ومرتشون، وطفيليون، ومتطفلون. والتناول الفني يمكن أن يتطرق إلى هذا الجانب أو ذاك، دون أن يعني ذلك التعميم على بضعة آلاف من المنتسبين لمهنة الصحافة، فبالأحرى مجتمع كبير ومتنوع مكوّن من مئات الآلاف من الأساتذة وموظفي التعليم.

فرفقا بالبلاد والعباد.

يونس مسكين

قال إن المغرب والصين يستطيعان إنجاز مشاريع مشتركة في

السفير الصيني: نعرض على المغرب تمويل وإنجاز "تي جي في" مراكش أكادير

حاورته: كنزة احسيني الخاضير

كشف سفير الصين بالمغرب "لي تشانغ لين" في حوار خاص مع "لسان المغرب"، عن رغبة بلاده في المشاركة في تشييد مشروع القطار فائق السرعة بين مراكش وأكادير، مؤكداً على إمكانيات الصين التقنية والتمويلية لإنجاز هذا المشروع.

وأوضح السفير "لي تشانغ لين" أن الصين تمتلك كل الإمكانيات التقنية لتنفيذ مشروع القطار الفائق السرعة، وأنها تعمل مع الجانب المغربي على توفير كل إمكانيات التمويل اللازمة لتنفيذ هذا المشروع.

وأكد السفير خلال هذا الحوار أن الصين تعتبر المغرب بلدا محوريا في مبادرة "الطريق والحرير"، حيث "يعتبر المغرب أول بلد في منطقة المغرب العربي يوقع مذكرة تفاهم مع الصين حول وذلك عام 2017"

لي تشانغ لين

س: كيف تصفون العلاقات المغربية الصينية، علما أن تاريخ العلاقات تعود لسنة 1920 باعتبار المغرب كان من الدول الأولى التي اعترفت بجمهورية الصين الشعبية وكانت داعمة لوحدتها؟

ج: شكرا لك على السؤال، فعلا العام الماضي احتفلنا بالذكرى السنوية الخامسة والستون لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والمغرب، وإذا ألقينا نظرة شاملة على العلاقات بين البلدين أود أن أقول إن لدينا ثقة سياسية معززة وتبادلات ثقافية مكثفة وعلاقات اقتصادية وتجارية قوية بين البلدين.

تحدثت عن دعم المغرب المستمر لوحدة الصين الوطنية، وأود أن أخبركم أن مقطع فيديو لا يزال يتداول مؤخرا على الشبكات الاجتماعية يتعلق بخطاب لجلالة الملك الراحل الحسن الثاني، بمناسبة انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1960، والذي خصصه لدعم طلب عودة الصين إلى أسرة الأمم المتحدة. هذا الفيديو أعجب الصينيين بشدة، ورغم أن هذا الخطاب كان باللغة الفرنسية، قام مختص لغوي مغربي بترجمته إلى اللغة الصينية، وهو ما نال إعجاب الصينيين.

الصينيون يقدرون سياسة المغرب في دعم وحدة الصين وتأزيلها من طرفه، وهذا يجعلنا نؤكد أن العلاقات بين البلدين جيدة جدا، وهذا يجعلني أتحدث عن الزيارة التاريخية لجلالة الملك محمد السادس للصين في عام 2016، والتي عرفت توقيع شراكة استراتيجية بين البلدين، وكان جلالة الملك محمد السادس لطيفا بما يكفي لإعفاء الصينيين من تأشيرة دخول الأراضي المغربية، لذا فإن هذه الزيارة التاريخية

امسح للاستماع
للبودكاست

جعلت العلاقات بين البلدين تدخل في مرحلة جديدة .

س: ما هي أبرز الفرص والتحديات التي تميز العلاقة بين البلدين؟

ج: حسنًا، لقد مرت أكثر من سنتين على وجودي في المغرب، وبالطبع أجريت اتصالات مع المغاربة من خلفيات مختلفة، وأود أن أقول إن البلدين اليوم يعرفان بعضهما البعض بشكل أفضل من أي وقت مضى، وهما اليوم يتعاونان من زاوية مختلفة، حيث إن كل الصينيين يدركون أن المغرب يتميز في أكثر من مجال، خاصة أن هذا البلد له موقع جغرافي متميز، ونظرا كذلك للاستقرار السياسي والاجتماعي الذي يتمتع به، واليد العاملة التي تمتاز بكفاءة عالية. واليوم، يقوم المغاربة والصينيون بجهود أكبر من أجل تعزيز التقارب بين البلدين مع تنويع الشراكة، في مجال تطوير التنمية بالمغرب مع تقدم مستوى الصين وفي إطار تعزيز الاتصالات والتشاور بين الطرفين.

وتجدر الاشارة إلى أنه خلال العامين الماضيين، جاءت العديد من الشركات الصينية إلى المغرب من أجل اكتشاف إمكانية الاستثمار فيه. فالمغرب يعتبر وجهة جيدة للاستثمار بالنسبة للصينيين، ونلاحظ أنه تقريبا خلال كل اسبوع أو كل شهر، تكون هناك شركات صينية جديدة تستثمر بالمغرب، وهي عديدة ولا يمكن ذكرها جميعها. وأستطيع القول إن الصينين مهتمين بمجالات عديدة للاستثمار بالمغرب، وعلى رأسها مجال الطاقة وصناعة السيارات، فكل هذه المشاريع الاستثمارية هي في طور الانجاز وسنراها ملموسة على أرض الواقع.

وفي ما يخص مشروع Tanger Tec أخبركم أنه دخل في مرحلة التنفيذ بشكل عملي، من طرف الشركة الصينية القائمة على تنفيذ هذا المشروع، وهناك شركات أخرى ستدخل على خط إتمام أشغال المنطقة الصناعية Tanger Tec. كما أن هناك مشروع استثماري آخر في القنيطرة، يخص شركة "سيتيك_ديكستال" المختصة في صنع إطارات السيارات من الألمنيوم في المغرب، فأنا سعيد بذكر بعض الاستثمارات الكبيرة للصين بالمغرب، التي في بصدد التنفيذ أو دخلت مرحلة الإنجاز...

س: ماذا عن التحديات؟

ج: في ما يتعلق بالتحديات التي تقف أمام الصينيين بالمغرب، فأولها هي الاختلاف الثقافي الذي يواجهه الصينيون عند القدوم إلى المغرب، بحكم أن ثقافة البلدين مختلفة وكذلك العادات المحلية، وهذا ما يتطلب وقتا للتعرف عليها والاندماج والتأقلم مع هذا الاختلاف الثقافي. وأعتقد أن على الطرفين القيام بمجهودات أكبر من أجل التقارب، خاصة الجانب المغربي الذي ينبغي له أن يسرع من وتيرة العمل أكثر.

في اتصالاتي مع بعض المغاربة أكدت على فكرة أن لدينا شباك واحد لكن الرؤية قد تكون مختلفة، وأؤكد على أن ضرورة الرفع من وتيرة العمل لكي نستطيع أن نذهب بعيدا في مستوى الشراكة التي تجمع البلدين والعمل على تطويرها بشكل أسرع من أجل تحقيق المشاريع المشتركة. كما أدعوا دائما الصينيين المتواجدين

سفير الصين بالمغرب "لي تشانغ لين"

سفير الصين مع الصحافية كنزة احسيني الخاضير

على الأراضي المغربية، بغض النظر عن اختصاصاتهم أو مهنهم، إلى تعلم العربية والفرنسية والتعرف أكثر على تاريخ وثقافة وعادات البلاد. فنحن في بلد جميل ويظهر لنا المغاربة الصداقة والضيافة كل يوم تقريبًا أعيش تجارب جديدة.

س: ما هو موقف الصين من ملف الصحراء المغربية؟

ج: في الصين والمغرب لدينا بشكل عام نهج متقارب ومتشابه في ما يخص الدفاع عن الوحدة الترابية، وهو نهج واقعي لمقاربة تعددية لتسوية النزاع حسب قواعد القانون الدولي. فهما يدافعان بغيرة عن وحدتهما الترابية، لذلك أود استغلال الفرصة لتقديم الشكر للجانب المغربي من أجل مساندته للوحدة الوطنية للصين. وبالنسبة لملف الصحراء فإن الصين مع حل سياسي دائم يقبله الطرفان، وأود أن أذكر أنه لمدة 4 سنوات أو 5 سنوات متتالية، كانت الصين في مجلس الأمن تصوت لصالح قرار مجلس الأمن الدولي بشأن ملف الصحراء، وفي العام الماضي صوتنا لصالح القرار بشأن تمديد ولاية بعثة المينورسو. وهناك خبير لغوي مغربي ترجم كتابًا ألفه فرنسي حول الصحراء من الفرنسية إلى الصينية، وأعتقد أن نشر هذا الكتاب في الصين سيساعد الصينيين على أن فهم جيد لملف الصحراء.

س: هل من إمكانيات للتعاون المشترك بين المغرب والصين على المستوى الافريقي؟

ج: للمغرب والصين استثمارات كبيرة في إفريقيا، وبصراحة كنت مندهشا من حضوركم واندماجكم الإفريقي. لقد قمتم مثلا بتكوين مجموعة من الطاقات الشابة المغربية التي تعمل في مجال التأمين ومجال الأشغال العمومية، ومجال الاتصالات وغيرها في البلدان الافريقية، وخاصة في دول غرب إفريقيا وقرأت بعض الأرقام المهمة جدًا توضح ان المغرب هو ثاني أكبر بلد مستثمر في الدول الأفريقية، والبلد المستثمر الأول في دول غرب افريقيا.

وحسب الاتصالات التي قمت بها مع العديد المغاربة، من فئات مختلفة، فسنعمل على خلق تعاون ودي للغاية في البلدان الافريقية، وفكرة هذا التعاون تحظى بدعم أصدقائنا المغاربة بمناسبة زيارة وزير الصناعة الصيني الأخيرة لنظيره المغربي، حيث تم التطرق لتعاون قوي بين الصين والمغرب من أجل القيام بمشاريع في البلدان الافريقية وأظن أنها فكرة ممتازة. وكما قلت سابقا لدينا سياسة افريقية متشابهة. مجال التنمية أيضا يظل مجالا مهما بالرغم من أن العالم يشهد اضطرابات وتحديات عدة. المغرب والصين بلدان يتطوران، ولدينا كل المؤشرات لخلق هذا التعاون المشترك القوي على مستوى البلدان الإفريقية. وأعتقد أن هذا التعاون سيعتمد على المجال العملي والمجال السياسي والاقتصادي لبدء المناقشات العملية من أجل تحقيق هذا النوع من التعاون المشترك مع تحديد خارطة الطريق التي ستوضح مجالات هذا التعاون.

وأريد أن أخبركم أن في هذه السنة، ستشهد بكين حدثين كبيرين يهمان التعاون بين الصين والعالم العربي

ثم بين الصين وإفريقيا، ونتحدث هنا عن تنظيم منتدى الصين والعالم العربي ومنتدى الصين والتعاون الإفريقي. ويأتي ذلك من أجل تعزيز وتأزيل آليات التعاون بين الصين والعالم العربي وايضا بين الصين والبلدان الافريقية. وفي هذه السنة سننظم ندوة وزارية توضح اليات هذا التعاون المشترك.

س: ما موقع المغرب في نظركم في مشروع الصين المعروف باسم الطريق والحرير؟

ج: بعد التحديات التي واجهت التنمية في العالم سنة 2013، أطلق الرئيس الصيني المبادرة الصينية "الحزام والطريق" وهو منتوج صيني قدمته الصين للعالم، والمغرب في عيون الصين بلد له دور محوري في هذه المبادرة باعتباره أول البلدان المغاربية التي وقعت في عام 2017 مذكرة تفاهم مع الصين، وبعدها سنة 2020 وقعت على وثيقة تنفيذية لهذه الشراكة مع الصين.

وكما تلاحظون، لدينا الآن عدة مشاريع مشتركة في طور التنفيذ في المغرب. وفي كل الأحوال الحكومة الصينية تدعم وتشجع الشركات ذات المصداقية والجادة للقدوم للمغرب والاستفادة من الامتيازات التي يوفرها لهم. وفي السنة الماضية قمنا بتنظيم ثالث لقاء رفيع المستوى لمبادرة "الحزام والطريق". أي أن للمغرب عدة امكانيات للتعاون مع الصين، وهو بلد جد مهم في عيون الصينيين من أجل العمل على تنفيذ عدة مشاريع في إطار مبادرة "الحزام والطريق".

> **في الصين والمغرب لدينا نهج متشابه في ما يخص الدفاع عن الوحدة الترابية**

س: يعتزم المغرب إنجاز مشروع جديد للقطار فائق السرعة، هل يعنيكم ذلك؟

ج: بعد قدومي إلى المغرب، تطرقت لهذا الملف بشكل متكرر مع أصدقائي المغاربة، وعلى حد علمي، لاتزال المناقشات والاتصالات جارية بين الطرفين. وبصراحة أستطيع القول في المجال التقني، إن الصين لها كل الامكانيات لتنفيذ هذا المشروع، وفي ما يخص تمويل هذا المشروع فالأمر يعمل عليه الطرفان بتنسيق لتوفير كل إمكانيات التمويل، وحسب علمي فالمكتب الوطني للسكك الحديدية كلف شركة صينية بإنجاز دراسة أولية لهذا المشروع، وفعلا أنهت هذه الشركة دراستها لمشروع الخطط السككي الرابط بين مراكش وأكادير، وتم تسليمها للمكتب، بعد هذا سننتظر.

ومؤخرا أطلق المكتب الوطني للسكك الحديدية عرضا في مجال الهندسة المدنية لإنجاز القطار الفائق السرعة وحسب علمي هناك عدة شركات صينية قدموا طلباتهم لإنجاز هذا المشروع، ونعرف أن المغرب شركاء تقليديين فطبعا لا ننسى ان صفقة مشروع القطار الفائق السرعة تم تنفيذها من طرف فرنسا اذن حاليا الكرة هي للجانب المغربي لكي يختار شريكه لإنجاز هذا المشروع.

س: ماذا عن التعاون العسكري بين البلدين؟

ج: طبعا هناك تعاون عسكري لكن ليس هناك شراكات في هذا المجال مقارنة مع الشراكات التي تجمع المغرب مع حلفائها التقليديين لسنوات طويلة.

س: هل تبذل الصين مجهودات لخلق قوة ناعمة داخل المغرب عبر نشر ثقافتها كما يفعل منا فسو ها ؟

ج: طبعا، ففي مجال التعاون المشترك مع المغرب، يعتبر التعاون الثقافي أولوية بالنسبة إلينا هذا ونبذل مجهودات في هذا المجال من أجل تقوية هذا التقارب الثقافي. وإلى حدود الآن، لدينا ثلاث معاهد كونفوشيوس ومركز ثقافي للصين، وتقع هذه المعاهد في كل من الرباط والدار البيضاء وطنجة، ولها عدة فروع في مدن مغربية مختلفة. لقد لاحظنا اهتمام الشباب المغاربة باللغة الصينية، والمغاربة أقوياء في تعلم اللغة الصينية، من أعمار مختلفة. واليوم يمكن أن نجد من الأصدقاء المغاربة من يتحدث الصينية بشكل ممتاز، ومنهم من شارك في أنشطة للمراكز الثقافية الصينية، والسفارة تدعم مجهوداتهم من خلال الجمعيات الثقافية بالمغرب، التي تنظم أنشطة وفعاليات ثقافية. وعلى أية حال، يظل التبادل الثقافي من أولويات الصين في مجال شراكاتها مع المغرب.

استراتيجية المغرب الطاقية...

رهان القوة الإقليمية

إسماعيل حمودي

يتطلع المغرب من خلال ورقة الطاقة، لأن يلعب دورا محوريا في شمال وغرب افريقيا، وفي البحر المتوسط وعلى المحيط الأطلسي، وبالتالي الاضطلاع بدور الدولة الإقليمية في محيطه الجيوسياسي.

رهان يبدو في المتناول، بسبب موقعه الجغرافي، وقدرته على جلب الاستثمارات الأجنبية، وبسبب التقاء مصالحه وأهدافه في ميدان الطاقة الخضراء مع تطلعات ومصالح الأوربيين، مثلما تلتقي مع تطلعات ومصالح دول منطقة غرب افريقيا، التي تعول بدورها على مشاريع الطاقة، بما فيها خط غاز نيجيريا-المغرب، لتسريع وتمتين التعاون الإقليمي في مجالات الاقتصاد الأخضر، والذي يتوقع أن ينعكس إيجابا على الظروف السياسية والأمنية لدول المنطقة.

ومن شأن هذا الهدف الجيوسياسي الكبير أن يسهم في تعزيز التقارب السياسي والدبلوماسي والعسكري بين المغرب ودول المنطقة، بما في ذلك نيجيريا، التي تشكل حجر عثرة في الكفاح المغربي من أجل تأمين وحدته الترابية.

لكنها هذه الرهانات الكبيرة قد تصطدم بمصالح قوى دولية تنشط في المنطقة، ويمكن أن تشكل تحديا للطموح المغربي، كما تصطدم بتوجهات جديدة في مجال الطاقة داخل الاتحاد الأوربي، الذي يسعى إلى التخلص من جميع أنواع الوقود الأحفوري والاعتماد كليا على الطاقات المتجددة بحلول 2050.

كشفت الحكومة المغربية عن مشروع أطلق عليه "عرض المغرب"، يتعلق بتطوير قطاع الهيدروجين الأخضر، موجه إلى القطاع الخاص المغربي والأجنبي، وهو العرض الذي يعد بالاستفادة من وعاء عقاري حددته الدولة في مليون هكتار، فضلا عن إعفاءات ضريبية مغرية، خصوصا وأن الاستثمار في هذا القطاع محفوف بالمخاطر، ويتطلب استثمارات ضخمة، لا يبدو أنها في متناول الدولة المغربية حاليا على الأقل.

تبرر الحكومة عرضها الاستثمار في الهيدروجين بالحاجة إلى مواجهة التحديات البيئية والاقتصادية والسياسية، التي تفاقمت بسبب أزمات متراكبة ومعقدة، وفي الوقت نفسه الاستجابة لرهانات النموذج التنموي الجديد، وبالأخص ما يتعلق منه بتغيير النموذج الطاقي، نحو الاعتماد على الطاقات المتجددة والبديلة، ومنها الهيدروجين الأخضر، ليس استجابة لحاجيات السوق الوطنية فقط، بل استجابة لحاجيات السوق في الاتحاد الأوربي، الذي قرر التخلي تماما عن الطاقات الأحفورية في أفق 2050.

أخذا بعين الاعتبار الخطط الأوربية، يبدو الطموح المغربي واضحا في التحول إلى مركز إقليمي للطاقة، بفضل موقعه الجغرافي الذي يجعل منه حلقة وصل بين غرب افريقيا وغرب أوربا، وامتداد سواحله البحرية على طول 3500 كلومتر الذي تخوله بحرا إقليميا شاسعا، وبفضل الخبرات التي يتوفر عليها كذلك، إذ تراهن المملكة على تعزيز سيادتها الطاقية من خلال استراتيجية متعددة الأبعاد، اعتُمدت منذ سنة 2009، وتسعى إلى التقليص من الكلفة الطاقية من جهة أولى، وتعزيز موقع المغرب ضمن الطاقات البديلة من جهة ثانية. خصوصا وأن المغرب يتوفر على إمكانات فريدة من الطاقات المتجددة، إذ يتوفر على موارد تقدر بـ 5000 ساعة سنويا من الطاقة الريحية، و2500 ساعة من الطاقة الشمسية. ولعل هذه الإمكانات، هي التي تحرك المغرب للرهان على المجال الطاقي قصد التحول إلى إحدى كبار الدول المنتجة للطاقة النظيفة خلال العقود المقبلة.

ومنذ شتنبر 2011، أحدث الملك "جلسات عمل" من أجل تتبع التخطيط وتسريع تنفيذ الخطط الاستراتيجية في قطاع الطاقة، ورغم أن تلك الجلسات تحولت إلى آلية عمل منهجية ومنتظمة للتفكير واتخاذ القرار في القضايا ذات الطبيعة الاستراتيجية للمملكة، إلا أن نحو نصف عددها البالغ 27 جلسة حتى أكتوبر 2023، خُصصت لتتبع تنفيذ مشاريع الطاقات المتجددة، مما يؤكد مركزية الرهان الطاقي للمغرب في استراتيجياته الاقتصادية والصناعية.

ولعل من بين الدوافع التي ضغطت للسير قدما في ذلك الاتجاه، التدهور المستمر في العلاقات

مع الجزائر، التي وصلت حد إعلان القطيعة الدبلوماسية من جانب واحد في صيف 2021، والذي شمل، ابتداء من 31 أكتوبر 2021، وقف تصدير الغاز الجزائري نحو أوربا عبر الأنبوب المغاربي الأوربي، ما يعني قطع الإمدادات عن المغرب التي كانت تغطي نسبة مهمة من حاجياته للغاز الطبيعي، ما دفعه إلى تكثيف تحركاته في السنوات الأخيرة من أجل البحث عن حلول جذرية لمتطلباته المتزايدة من الطاقة، عبر خطة متنوعة واستراتيجية تقطع مع الخيار الجزائري، وتتضمن حلولا قريبة الأمد مثل الاستيراد(الفحم، الكهرباء...)، وأخرى متوسطة وبعيدة الأمد، مثل تشجيع استكشاف الغاز داخل المجال الترابي المغربي، وإطلاق مشاريع الطاقة الشمسية والريحية، والاستثمار في قطاع الهيدروجين الأخضر. إلا أن السؤال هو كيف يمكنه الموازنة بين الأولويات القريبة والمتوسطة في مجال الطاقات المتجددة والأولويات البعيدة في مجال الغاز الطبيعي، في ظل التحولات المتسارعة التي يعرفها ميدان الطاقة؟

أولا: رهان الاقتصاد الأخضر

يراهن المغرب على الطاقات المتجددة بديلا عن الطاقة التقليدية، لعدة أسباب: أولا، الالتزام الدولي للمغرب بمواجهة التغير المناخي، خصوصا وأنه دولة سبق لها احتضان المؤتمر 22 للاتفاقية الإطار للأطراف في الاتفاقية الإطار للأمم المتحدة حول التغير المناخي. وفي إطار التزامه باتفاقية باريس للمناخ، حدد المغرب مساهمته المحددة وطنيا بخفض انبعاثات الغازات الدفيئة بخفض بنسبة 42 في المئة بحلول 2030. ثانيا، توفير موارد طاقة بديلة، تلبي الاحتياجات الوطنية بنسبة 52 في المائة في أفق 2030، وتقلص الاعتماد على التبعية للخارج في مجال الغاز والنفط، حيث تتجاوز الكلفة الطاقية 100 مليار درهم سنويا. كما يراهن، ثالثا، على الاستجابة لمتطلبات المكتب الشريف للفوسفاط الذي يراهن على استعمال الهيدروجين الأخضر لتصنيع الأمونياك ضمن استراتيجية ترمي للتحول إلى إنتاج الفوسفاط باستعمال الطاقات المتجددة. كما يراهن، رابعا، على الطاقات المتجددة من أجل تزويد أوربا بالطاقة الخضراء عبر الكهرباء والهيدروجين الأخضر، كما كشف عن ذلك "عرض المغرب"، من خلال التطلع لربط شبكته الطاقية مع الشبكة الأوربية للهيدروجين، خصوصا وأن أوربا ترى في المغرب واحدا من بين أفضل خمس بلدان في العالم في مجال تطوير هذا النوع من الشراكات الطاقية البديلة، والتي تتطلع إليها لتكون بديلا عن الغاز الروسي.

ما يدفع المغرب للمضي في هذا الاتجاه كذلك أن إمكاناته من الطاقات المتجددة، الشمسية والريحية، تعد من بين الأكثر تنافسية في العالم، حيث تمثل تقريبا نفس قدرة إنتاج الغاز والنفط في فنزويلا ونيجيريا،

وسيمكن استغلال هذا المخزون من تقليص معدل التبعية الطاقية للخارج بشكل كبير، وتحسين القدرة الشرائية للمواطنين وتحقيق تنافسية الصناعات والحسابات العمومية، وتعزيز موقع المغرب على الصعيد العالمي.

وقد استطاع المغرب جلب استثمارات مهمة في ميدان الطاقات النظيفة، فقد كشف تقرير رسمي أن المغرب من بين الدول النامية العشر الأكثر جذبا للاستثمارات الأجنبية في الطاقات المتجددة، حيث احتل المرتبة العاشرة بعد كل من البرازيل المتصدرة للقائمة، وفيتنام والشيلي والهند وكازاخستان وتايوان ومصر والمكسيك وإندونيسيا. وفي المغرب، بلغت نسبة الاستثمار الأجنبي في الطاقات المتجددة 34 في المائة خلال الفترة ما بين 2015 – 2022 أي ما يعادل 29.7 مليار دولار.

أن هذا الرهان تواجهه عدة تحديات، تتعلق بالتطورات التكنولوجية المتسارعة، فقد سبق للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي أن أشار في رأي له (2020) أن التطور التكنولوجي له تأثير سريع على أسعار الطاقات المتجددة، إذ بلغت أسعار الكيلوواط من الطاقة الريحية عند 0.30 درهم للساعة، في الوقت الذي بلغ السعر في منطقة الشرق الأوسط نحو 0,13 درهم للكيلوواط ساعة، في شروط مماثلة لتلك التي توجد في المغرب. وعموما، فالتكنولوجيا المستحدثة في مجال استعمال الطاقات المتجددة سريعة التطور، إذ تظهر تقنيات جديدة في كل سنة تقريبا، ما يجعل بعض التقنيات تتقادم بشكل سريع وتؤثر على كلفة بعض المشاريع المبرمجة في هذا الإطار.

وبخصوص قطاع الهيدروجين الأخضر، كشفت وثيقة "عرض المغرب" أن حوالي 100 مستثمر مغربي وأجنبي عبروا عن استعدادهم للاستثمار في قطاع الهيدروجين. علما أن الطلب على سوق الهيدروجين في العالم بلغت مستويات قياسية في السنوات الأخيرة، ففي سنة 2020 بلغ الطلب على الهيدروجين نحو 90 مليون طن، في حين توقعت منظمة "أوبك" أن يصل الطلب إلى 650 مليون طن في أفق 2050، لاستعماله مادة خاما في القطاع الصناعي على وجه الخصوص. إلا أن الطموح المغربي تقف أمامه عدة تحديات صعبة، منها ارتفاع التكاليف المالية في مشروعات الإنتاج، والحاجة إلى خبرات دقيقة تمكن من سن القوانين والإجراءات التنظيمية لتغطية الجوانب التجارية والوظيفية وإجراءات الأمن والسلامة. كما يواجه المغرب تحدي تقديم عرض تنافسي بأقل كلفة ممكنة، بحيث لا تتعدى كلفة الكيلوغرام الواحد من الهيدروجين الأخضر دولارين أو دولارا واحدا، بينما تقارب حاليا 4 إلى 5 دولارات. كما تواجه المملكة تحدي إنشاء منظومة لسلسلة قيم صناعية تبدأ بمحطات تحلية مياه البحر، وبنيات تخزين الكهرباء، وصولا إلى إيجاد حلول لإشكالية نقل وتسويق الهيدروجين.

ثانيا: خط إقليمي للغاز

في 24 أكتوبر 2023، انعقد بمراكش الاجتماع رفيع المستوى للجنة المكلفة بمشروع خط أنبوب الغاز نيجيريا -المغرب. الاجتماع حضره ممثلي جميع البلدان التي يعبرها خط أنبوب الغاز نيجيريا – المغرب، وكذا مفوض البنيات التحتية والطاقة والرقمنة ومدير

الطاقة والمعادن باللجنة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا(الإيكواس)، لمناقشة ما يتعلق بالاستكشاف النفطي والغازي، والإمكانيات البرية والبحرية لساحل المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، وكذا مشاريع البنية التحتية لنقل الغاز، وفرص الاستثمار، فضلا عن قضايا التحديات الطاقية بالقارة الإفريقية.

القمة شكلت حلقة جديدة في مسار انطلق منذ دجنبر 2016، خلال زيارة الملك محمد السادس إلى نيجيريا، حيث اتفق مع الرئيس النيجيري على إطلاق دراسة جدوى حول خط للغاز يربط البلدين ويصل إلى أوروبا. وفي يونيو 2018، وقع البلدان إعلانا مشتركا يهدف إلى تحديد خطوات هذا المشروع الضخم الذي سيمتد على طول 5660 كيلومترا، ويمر بـ 13 دولة إفريقية، بما فيها نيجيريا والمغرب، قبل الوصول إلى أوربا. من المرجح أن يمثل هذا المشروع أحد الحلول الطاقية المهمة لدول منطقة غرب أفريقيا، التي تضم مناطق تعيش بدون كهرباء حتى الآن، علاوة على خلق فرص هائلة للعمل، بفضل قيمة الاستثمار في المشروع التي تقدر بنحو 30 مليار دولار، وكذا مساهمته في تحسين الإنتاج الفلاحي، حيث يمكن استخدام هذه الطاقة في إنتاج السماد، ما يعني تأثيرا مباشرا على الأمن الغذائي للدول المنخرطة في هذا المشروع المهيكل.

وتعود الأهمية الاقتصادية والبيئية للمشروع إلى منحه نيجيريا فرصة تسويق غازها الذي تُنتجه خلال عملية إنتاج البترول. في حين سيتمكن المغرب من تأمين احتياجاته الطاقية، وتعزيز موقعه الجيوستراتيجي في غرب افريقيا، ومن تم إعادة تعريف علاقاته مع دول المنطقة، وخصوصا نيجيريا التي تتبنى موقفا سلبيا من قضية الصحراء، وتماشيا مع التوجه

> **يبدو الطموح المغربي واضحا في التحول إلى مركز إقليمي للطاقة**

الاستراتيجي للمغرب الذي يركز على العمق الأفريقي، وهو التوجه الذي تسارعت وتيرته منذ عودة المغرب إلى منظمة الاتحاد الأفريقي عام 2017، وتعزز أكثر بعد تقديمه طلبا للانضمام إلى مجموعة "الإيكواس"، التي وافقت، من حيث المبدأ، في قمتها لـ 4 يونيو 2017، على الطلب المغربي، ويتوقع أن يكون ذلك قد أسهم في فتح الطريق أمام مفاوضات قانونية وتقنية بين الطرفين. وعموما، يسعى المغرب إلى تعزيز مكانته الإقليمية في اتجاه دعم سيادته على الأقاليم الجنوبية التي يطورها لتصبح صلة وصل مع غرب افريقيا(الميناء الأطلسي في الداخلة، الطريق السيار، استثمارات ضخمة في الطاقات البديلة والهيدروجين، كليات ومعاهد عليا،...)، وهو طموح قد يتعزز أكثر بانضمامه إلى منظمة "الإيكواس" التي ستسمح له بالوصول إلى موقع استراتيجي يمتد من خليج غينيا إلى البحر الأبيض المتوسط، كما أن تطوير العلاقات بين المغرب ودول الإيكواس يمكن أن يدفع نحو تشكيل مجموعة إفريقية مطلة على المحيط الأطلسي، وهو مشروع يشتغل عليه منذ 2012 على الأقل، وعرف تقدما لافتا منذ يونيو 2022. ما هو مؤكد أن المصالح المغربية تتقاطع مع مصالح دول "الإيكواس" بحكم الروابط الاجتماعية والثقافية والدينية، التي تشكل أرضية صلبة لتعزيز التبادل التجاري والاندماج الاقتصادي بين دول المنطقة، كما تتماشى تلك التقاطعات مع أهداف مبادرة الاتحاد الإفريقي للشراكة وتنمية إفريقيا "نيباد"، والتي تراهن على البنية التحتية لخط الغاز من أجل تحسين الظروف الاجتماعية لنحو 400 مليون شخص، من خلال إمدادات غاز مستدامة. وقد عبرت الإيكواس عن هذا الطموح حين وافقت في قمة نونبر 2022 على دمج مشروع خط أنابيب غاز غرب أفريقيا ومشروع خط أنابيب الغاز بين نيجيريا والمغرب، في مشروع واحد، ما يعني ملاءمة مشروع نيجيريا المغرب مع مشاريع الطاقة المحلية لكل بلد، وبالتالي توفير المنشآت الأساسية لتوزيع وتصدير الغاز، حيث ستكون البلدان التي تمتلك احتياطيات من الغاز الطبيعي، مثل موريتانيا والسنغال، قادرة على استخدام خط الأنابيب نفسها لتصديره. علاوة على انسجام المشروع مع جهود "الإيكواس" لزيادة نسبة تعميم الكهرباء في على ساكنة دول غرب افريقيا.

وعموما، يسعى المغرب إلى التموقع إقليميا إزاء غرب افريقيا وأوربا الغربية معا. ولعل أوربا تراقب عن كثب تطور المشاريع الإفريقية الخاصة بالغاز، في الوقت الذي تبذل جهود متواصلة من أجل تنويع مصادر الطاقة، حتى لا تظل رهينة لروسيا بعدما دخلت في حرب طويلة مع أوكرانيا. لقد غيرت أوربا اتجاهها نحو أذربيجان كما طورت شراكتها مع قطر وأمريكا، وربما تطمح إلى ضم الموردين الأفارقة مثل الجزائر ونيجيريا، من أجل تأمين مستدام للغاز الطبيعي.

لذلك، فقد جذبت احتياطيات الغاز الطبيعي في منطقة غرب أفريقيا المزيد من الاهتمام الدولي، خصوصا الاكتشافات الأخيرة لرواسب الغاز البحرية على طول مسار خط الغاز

نيجيريا-المغرب، قبالة سواحل كوت ديفوار (ساحل العاج) وبين السنغال وموريتانيا. بالمقابل تطمح الحكومة النيجيرية، بعد إنجاز مشروع خط الأنابيب وربطه بالأنبوب المغاربي-الأوروبي، إلى زيادة حصتها في سوق الغاز الأوروبية لتحقيق عائدات أكبر، وهي التي تعد موردا رئيسا للبرتغال بنسبة 49.5 في المئة من حاجياتها. كما تعد نيجيريا ثاني أكبر مورد لإسبانيا بنسبة 50 في المئة. وبجانب ذلك تعتزم السنغال وموريتانيا اتخاذ خطوات لتطوير مشروعات الغاز الطبيعي والوصول إلى السوق الأوروبية، وذلك بعد اكتشاف احتياطات مهمة في حقل الغاز المشترك "السلحفاة الكبرى/أحميم" الواقع بين البلدين في المياه الإقليمية، والذي يُقدر احتياطي الغاز فيه بنحو 450 مليار متر مكعب.

ثالثا: تحديات أمام الرهان المغربي

رغم أهمية التوجهات والمبادرات الاستراتيجية للمغرب نحو افريقيا، إلا أنه يواجه مشاريع منافسة، ففي 2009، أعلنت نيجيريا والنيجر والجزائر عن فكرة مشروع يعبر الصحراء الكبرى من نيجيريا عبر النيجر إلى الجزائر ومنها إلى أوربا. وقد تم إحياء المشروع بعد توقيع مذكرة تفاهم بين الدول الثلاثة في يوليو 2022. كما عرضت ليبيا مشروعها لنقل غاز نيجيريا عبر تشاد أو النيجر في سبتمبر 2022، خلال القمة الوزارية لمنظمة منتجي النفط الأفريقيين. ويتميز مشروع الخط العابر نحو الجزائر بمسار أقصر مقارنة بالأنبوب الممتد نحو المغرب، وبتكلفة أقل، لكنه يواجه مخاطر أمنية. في حين يتميز المشروع المغربي بأهدافه في تحقيق التكامل الاقتصادي بين دول منطقة غرب أفريقيا، وتوفير ممر للبلدان الواقعة على مسار الخط لتصدير غازها إلى الدول المجاورة لها وإلى أوروبا، كما يزود الدول غير الساحلية في بوركينا فاسو ومالي والنيجر. ويبقى تحقيق أهداف تلك المشاريع الطاقية الكبرى رهين بمدى قدرة الجهات المشاركة فيه على تجاوز التحديات التي تعترض إنجازه، وهي:

- تحدي التمويل، تحتاج مشاريع الطاقة، سواء المتجددة أو الغاز الطبيعي، إلى استثمارات مالية ضخمة، يعول فيها على التمويل الدولي أساسا. وفي حالة ضعف الاستجابة قد يجد نفسه مضطرا إلى المفاضلة بين مشروع وآخر. وعلى سبيل المثال، يواجه الاستثمار في قطاع الهيدروجين الأخضر منافسة شرسة من دول عربية أخرى، خصوصا دول الخليج. في حين أن تجربة محدودة

للمكتب الشريف للفوسفاط لإنتاج 200 ألف طن من الأمونياك في طرفاية كلفت 69 مليار درهم، أي 7 ملايير دولار. وعبّرت دول كبرى، لكن محدودة، عن رغبتها في الاستجابة للطلب المغربي، مثل فرنسا وبريطانيا والهند. ومن المرجح أن يشكل تقاطع العرض المغربي مع استراتيجية الاتحاد الأوربي للتحول نحو الطاقات النظيفة، فرصة ثمينة في هذا المسار. تحدي التمويل يطرح كذلك بالنسبة لمشروع خط الغاز الأطلسي، حيث إن الاتفاق المبرم بين المغرب ونيجيريا بشأنه يقضي بأن يتقاسم البلدان بالتساوي تكلفة دراسة التصميم الهندسي للمشروع التي تقدر بأزيد من 90 مليون دولار. وفي دجنبر 2021، وافق البنك الإسلامي للتنمية على تمويل 50 في المئة من التكلفة الإجمالية للدراسة، من خلال تمويل قدره 15,45 مليون دولار لفائدة المغرب، مقابل تمويل قدره 29.75 مليون دولار للجانب النيجيري. وفي أبريل 2022، وافق صندوق أوبك للتنمية الدولية على تمويل جزء آخر من الدراسة بقيمة 14.3 مليون دولار، وكان متوقعا أن يتم تسليم نتائج الدراسة المتعلقة بالتصميم الهندسي قبل نهاية 2023، لاتخاذ قرار الاستثمار النهائي، قبل الشروع مجددا في البحث عن مصادر أخرى للتمويل لتغطية النفقات المتعلقة بإنشاء الأنبوب، الذي تقدر كلفته بـ 25 مليار دولار.

التحدي الأمني: تواجه منطقة غرب أفريقيا تهديدات أمنية تقوض استقرارها الاقتصادي والاجتماعي، مصدرها نشاط الجماعات المسلحة في منطقة الساحل والصحراء، وانتشار القرصنة في خليج غينيا. وهي تهديدات دفعت بمنظمة "الإيكواس"، منذ 2021، إلى تعبئة أعضائها للتصديق على "ميثاق الأمن والسلامة البحرية والتنمية في أفريقيا" الذي تبناه الاتحاد الأفريقي منذ 2016، بهدف تعزيز السلامة البحرية ومواجهة التهديدات العابرة للحدود، بما في ذلك الإرهاب والقرصنة البحرية، وعواقبها المحتملة على دول منطقة خليج غينيا. تحرك الإيكواس ينبه إلى وعي دول المنطقة بأهمية ضمان الأمن على طويل سواحل غرب إفريقيا، من أجل تفادي الأضرار التي قد تلحق بالأنبوب الرئيسي وشبكة الأنابيب المتفرعة عنه، بسبب الإرهاب أو عمليات القرصنة، أخذا بعين الاعتبار وقائع عام 2012، التي أدت إلى تخريب أنبوب غاز غرب افريقيا، مما أدى إلى توقف تزويد غانا وتوغو وبنين بالغاز لعدة أشهر، كما تسبب ذلك في انقطاع الكهرباء. وهو الحدث الذي دفع حينها بمجلس الأمن الدولي إلى الاهتمام بالقرصنة في خليج غينيا، حيث تبنى في ماي 2022 القرار رقم 2634 الذي يدعو فيه دول المنطقة إلى وضع استراتيجيات للأمن البحري وتنفيذها، وتجريم القرصنة والسطو المسلح في تشريعاتها الوطنية.

خلاصة القول إن المغرب يتطلع، من خلال ورقة الطاقة، لأن يلعب دورا محوريا في شمال وغرب افريقيا، وفي البحر المتوسط وعلى المحيط الأطلسي، وبالتالي الاضطلاع بدور الدولة الإقليمية في محيطه الجيوسياسي. وهو رهان يبدو في المتناول، بسبب موقعه الجغرافي، وقدرته على جلب الاستثمارات الأجنبية، وبسبب التقاء مصالحه وأهدافه في ميدان الطاقة الخضراء مع تطلعات ومصالح الأوربيين، مثلما تلتقي مع تطلعات ومصالح دول منطقة غرب افريقيا، التي تعول بدورها على مشاريع الطاقة، بما فيها خط غاز نيجيريا-المغرب، لتسريع وتمتين التعاون الإقليمي في مجالات الاقتصاد الأخضر، والذي يتوقع أن ينعكس إيجابا على الظروف السياسية والأمنية لدول المنطقة. ومن شأن هذا الهدف الجيوسياسي الكبير أن يسهم في تعزيز التقارب السياسي والدبلوماسي والعسكري بين المغرب ودول المنطقة، بما في ذلك نيجيريا، التي تشكل حجر عثرة في الكفاح المغربي من أجل تأمين وحدته الترابية. لكنها تظل رهانات كبيرة قد تصطدم بمصالح قوى دولية تنشط في المنطقة، ويمكن أن تشكل تحديا للطموح المغربي، كما تصطدم بتوجهات جديدة في مجال الطاقة داخل الاتحاد الأوربي، الذي يسعى إلى التخلص من جميع أنواع الوقود الأحفوري والاعتماد كليا على الطاقات المتجددة بحلول 2050.

لكن تظل استراتيجية المغرب متنوعة، إذ تراهن على خط الغاز الإقليمي مع نيجيريا، مثلما تراهن على الطاقات المتجددة، الريحية والشمسية، كما تعول على إنتاج الطاقة من الهيدروجين الأخضر، كما عبّر عن ذلك "عرض المغرب" المعلن عنه أخيرا من لدن الحكومة، وهي مشاريع متنوعة ومتكاملة، تستجيب للحاجيات الداخلية والإقليمية والدولية. لكنها استراتيجية تظل ناقصة حتى الآن، في غياب الطاقة والتكنولوجيا النووية، التي تظل الخيار المسكوت عنه حتى الآن، والتي لا يمكن ربح رهان القوة الإقليمية في المنطقة بدونها.

أصل الحكاية

الطباخ في الحضارة المغربية

هشام الأحرش

صورة من توليد الذكاء الاصطناعي

شكل الاهتمام بالمطبخ المغربي أحد تجليات الاهتمام بجزء من الحضارة المغربية، أو ما يصطلح عليه اليوم بفن العيش المغربي، لكن هذا الاهتمام انصب أساسا إلى الحديث عن الطعام، دون الاهتمام اللازم الذي يصل الى حد تجاهل الحديث عن الطباخ الذي ارتقى في لحظات تاريخية إلى أن يكون جليس السلطان، المسؤول عن الاستجابة لذوق هذا الأخير من خلال إبداع الوصفات، بل سيصل في مرحلة تاريخية إلى أن يصبح مؤرخا للطعام، حيث إن الكتب التي أرخت للطعام في حضارتنا المغربية ألفها هؤلاء.

طباخو السلطان

شكلت العلاقة التي تجمع الطباخ بالسلاطين في المغرب علاقة تبادلية، قوامها استفادة كل واحد من الآخر، فتفرد مطبخ السلطان الذي يندرج ضمن التفرد الملوكي الذي يعطي للملك الحق في نظام غذائي مختلف عمن حوله، وهو ما يجعل المطبخ السلطاني ذو طابع أخلاقي وجودي، يهدف إلى إثبات الذات فتتحول المائدة الملوكية من حاجة غريزية إلى واقعة ثقافية، ورمز للغنى والترف لمن يدور في فلك السلطان، مما يجعل من الواجب توفر مجموعة من الشروط في هذه المائدة، من طعام شهي ومتفرد عن غيره من الأطعمة، تفرد لا يتحقق إلا من خلال وجود طباخ متفرد على غيره.

لهذا لهذا السبب، حاز الكثير من الطباخين مكانة متميزة داخل البلاط العباسي، فعُبادة المخنث الذي كان طباخا للخليفة العباسي المأمون سيصبح نديما لهذا الخليفة وطباخه في الآن نفسه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن هذه العلاقة المميزة بين الطباخ والسلطان، أن بعض الكتب التي وصلتنا عن الطبيخ ثم تأليفها من قبل هؤلاء الطهاة بأمر من السلطان نفسه، فكتاب الطبيخ للبغدادي ألف بأمر من الخليفة العباسي نفسه، وهو الأمر الذي ستعرفه الأندلس والمغرب زمن الموحدين.

فصاحب كتاب أنواع الصيدلة لم يكن طباخا عاديا، بل كان ملازما للأمراء والملوك، ويعيش في أجوائهم ومجالسهم، وما يؤكد عيش الطباخ المؤلف في هذا الجو الأرستقراطي، ما كان يشير إليه في كل مناسبة، ومثال ذلك، إشارته إلى نوع من السنبوسك كان يصنع في قصر الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور.

ولم يكن ذلك ليتحقق لولا ما توفر للطباخ السلطاني من وسائل ومواد وإمكانات تجعل من فضائه المطبخي فضاء للإبداع والتجريب، مما ساهم في إبداع الكثير من الوصفات التي لازلت تغني إلى اليوم مطبخنا المغربي. وهي الوصفات التي وصلتنا من خلال كتب الطبيخ التي ألفها هؤلاء.

العبيد والإماء الطباخون

شكل وجود الإماء والعبيد إلى وقت قريب جزءا من البنية الاجتماعية للمغرب، وقد تعددت الأدوار والمهام التي كانوا يقومون بها، لكن جزءا من هذه الأدوار كانت الخدمة في القصور ودور الأغنياء، ولهذا كان حرص الأغنياء على اختيار ذوي المهارات منهم، ولذلك عادة ما كانت وثائق بيع العبيد والإماء تتضمن بيانات تحدد طبيعة الأعمال المنزلية التي سيتكلفون بها، من قبيل العجن والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء.

فقد شكل حرص البيوتات الكبرى على اقتناء ذوي المهارة في الطبخ أحد مجالات تسابق هؤلاء، بالنظر إلى أن فخامة المائدة وتنوعها تعكس قوة وجاه وكرم صاحبها، فالتغذية وحدها توضح التفاوت الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مغرب ما قبل الحماية، فحكاية أحد أعوان الدولة الذي ذهب في مهمة الى بعض الأقاليم، فاشتكى الى باشا فاس تواضع مائدة اهل الفلح الذين اتوه بالكسكس بلا سمن ولا لحم ولا خضر، اللهم إلا من ماء وبيض مائلين في الصحن توضح ذلك .ويمكن، في الحقيقة، فهم هذه الشكوى خاصة إذا كان مصدرها رجل من اهل الحضر تعود

لذائذ مآدب العلية التي تقوم عليها أيدي ماهرة. ففيي سنة 1885، نبه مول الشكارة، حاجب الاستقبالات السلطانية وأخبره أنه أدب مأدبة قوامها أربعة وثلاثون طبقا من مختلف أصناف المآكل وتضم هذه الأنواع الكسكس المتبل والبسطيلة وطواجين لحم الطير واللحوم والاسماء وختامها سلاطات تقدم في طاسات (زلايف) لم يكن المطبخ المغربي قد ألفها.

فإن القواد القادمون من العمالات البعيدة دهشوا من وفرة وروعة ما رأوا، أما الخبز الأبيض، الذي قدم بالمناسبة، فقد أكبروه إكبارا، ولا عجب في موقفهم هذا، لأن ما رأوه من مطبخ رفيع، لا يمكن أن يكون في متناول أي منهم، لأنه بحاجة إلى من يصنعه، ومن يصنعه في هذه الحالة هم طباخو القصر والبيوتات الكبرى من الإماء والعبيد الطباخين. لكن هؤلاء كانوا من الندرة ما يجعلهن يبعن بأثمان باهظة أن وجدن في الأسواق أصلا، وهذا نادر الحدوث.

ففي 1898 كتب أحد أعيان الدولة، وكان أخا للصدر الأعظم، إلى أحد زملائه، ما يلي: "فقد دعت الحاجة الأكيدة إلى أربع إماء تطوانيات نجيبات لهن المعرفة التامة بأنواع الحلاوي والطبخ التطواني من البارعات فيما ذكر فنحبك أن تبالغ المجهود في البحث عنهن وتيسرهن على الكيفية المذكورة". فأجابه بصعوبة العثور عليهن، فكلف أحد أقاربه للقيام بذلك لكن الأمر سيتطلب بالضرورة بعض الوقت، ومن هنا نفهم أسباب سهر الدولة بنفسها على تكوين الطاهيات الماهرات، حيث لا يتم إرسال الفتيات إلى مختلف مصالح البلاط إلا من أجل أن يتعلمن، لكن، إذا ضاق بهن البلاط وزادت حاجته إليهن، عهد بالكثير منهن إلى القواد وأعيان المدن لتجرن ايديهن على الطبخ ، لذلك كان المولى عبد الرحمان يرسل في الغالب ، الكثيرات إلى الشمال ليقمن في بيوتات الشخصية المرموقة، وكذلك كان شأن من أرسلهن السلطان إلى القايد أشعاش واستعجله تسليمهن لأمة لتشرف بنفسها على تأديبهن وتعليمهن أنواع الطبخ المتقنة.

وقد كان هذا العمل جاريا بهذا الأمر في كل حواضر المغرب، وتعطي الرسالة التالية التي وردت من عامل الرباط ومحتسبها كثيرا من التفصيل في هذا الشأن: "وصلنا كتابك بما اقتضاه النظر الشريف من تفريق إماء لجنابه العالي بالله، على من عين من أعيان أهل الرباط بقصد تعلم الطبخ ونحوه كما وصلنا ما كتب لهم بذلك وصار بالبال ما شرحته وأشرت بدفع لكل منهم كتابه بمجرد الوصول فقد فعلنا بمقتضى الإشارة وبعده وصلوا الإماء صحبة الأمين سيدي محمد المنوني وكتاب سيدنا الحاجب وبطيه التقييد المشار إليه بأسمائهن وأوصافهن وبنفس ما وصلوا ودفعنا لكل واحد من عين له منهن فمن له ومن لنائبه لنائبه".

كانت هذه المسألة معروفة، إذ تسلم التعليمات مكتوبة ومحددة عن يد إلى الأعيان حتى يسير الأمر وفق رغبات البلاط، فتتلقى كل أسرة معينة أمة أو أمتين أو ثلاث، وهكذا تجد أسرة بركاش وفرج وغنام وبنعبد الله والجزوليين نفسها مكلفة بمهام من هذا النوع، وفي هذه البيوتات تطول مدة التكوين كثيرا، وتختم بتسليم نوع من الإجازة يشبه مستخرجا بسيطا، يبين إلى جانب اسم الأمة، كفاءتها المكتسبة في فن المطبخ، فلا عجب إذن إن غلا ثمنهن، فقد أقمن، كما رأينا، لسنوات طوال، طاعمات ومقيمات ومتلمذات إلى أن برهن على نضجهن ومهارتهن .4

طباخو الشارع

شكلت الأسواق والقيساريات تاريخيا جزءا من الفضاء العمراني العام للمدينة المغربية. فمدينة فاس إحدى الحواضر الكبرى للمغرب، ستعرف أسواقها زمن الموحدين من الغنى والثراء ما يضاهي حينه كبرى المدن في العالم، فيكفي الإشارة إلى أن عدد الفنادق التي كانت توجد في مدينة فاس أربع مائة وتسعة وستين 469 فندقا، والحوانيت تسعة آلاف ومئتين وثمانين 9280، وأفران الخبز ألفا ومائة وسبعين 1170، لنتأكد بالملموس حجم الرواج الاقتصادي الذي كانت تعرفه المدينة، وهو رواج اقتصادي كانت حوانيت ودكاكين بيع الطعام جزء منه، ويصف بن الوزان الذي عاش أواخر القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر أحد أسواق فاس التي يباع في الطعام، ثم يأتي سوق الدخان، حيث تباع الزلابية المقلية بالزيت، وهي شهية بذلك الخبز المعسول الذي يباع في روما... ويبيعون منها كل يوم كمية كبيرة تأكل كطعام إفطار، ولاسيما في أيام العيد وقبل أيام الصوم، ويباع كذلك لحم مقلي وأسماك مقلية ونوع آخر من الخبز الخفيف، مصنوع من أشرطة رقيقة عريضة ومتموجة، كما تباع كوارع مطبوخة. ودكاكين أخرى تصنع كرات اللحم المفروم تقلى بالزيت مع كمية من التوابل، ويبلغ حجم كل كرة حجم التينة العادية.

لكن هذه الحرف لم تكن تمارس بشكل عشوائي، بل كانت خاضعة لتنظيم صارم، حيث نجد على رأس المهنة العريف أو رئيس الطباخين، وهو بمثابة أمين للصنعة يسعى إلى حل الخلافات التي لا يرقى شأنها إلى رفعها للمحتسب أو القاضي، حيث إن مما كان يحدث المشاكل في الأسواق، أن الطباخين لم يكونوا يختلفون في حرفية الطبخ، إذ لم يكونوا على قدر من المهارة في الطهي وإثارة أذواق المستهلكين، كما أنهم لم يكونوا على قدر واحد من الكياسة في التعامل مع الزبناء، مما كان يقتضي تدخل عريف المهنة او رئيس الطباخين في المدينة أو حتى المحتسب أو القاضي. مما يبرز إلى أن هذه المهنة كانت تخضع لضوابط صارمة، ولم تكن مجالا مفتوحا لكل من هب ودب.

طباخو الأعراس

إذا كانت الأعراس وغيرها من المناسبات تشكل لحظة للكرم المغربي، تتجلى مظاهره الأساسية في مائدة الطعام، فإن تلك الاستقبالات تجري دون أكل فاخر، وهو أكل يحتاج إلى طباخين متمرسين وقادرين على إطعام عدد كبير من الضيوف، وهو ما يجعلنا نتحدث بإعجاب على التنظيم السائد الذي عرفته مدينة فاس حين يتعلق بطائفة الطباخين، وهو تنظيم يذكرنا بمموني الحفلات اليوم، تنظيم يجعلنا يؤكد أن تموين الحفلات تقليد قديم وراسخ في الحضارة المغربية. فإذا نظم أحد الأغنياء الفاسيين احتفالا جميلا بجوق ممتاز، لم يكن يستطيع أن يقدم لضيوفه أقل من غذاء جيد. كانت الأسر العظمى تملك في المنزل خادمة طباخة، ولكن في حالة احتفال كبير يستدعى إليه عدة مئات من الأشخاص، كان لابد من مدها بالمساعدة، فكانوا يلجؤون من أجل ذلك إلى خدم إضافيين وكانوا من الجنسين، كان الرجال قليلو العدد، حوالي عشرة، لكنهم كانوا يديرون طائفة، وهي الطائفة الوحيدة المختلطة بفاس، كانت النساء كلهن زنجيات معتقات، وعددهن نحو خمسين، كن يشتغلن تحت مسؤولية أمين الطائفة الذي لم يكن يتردد في توبيخهن وضربهن عن الاقتضاء. كن خرافيات للغاية، لا يشعلن مواقدهن قبل إحراق شيء من البخور ودون تلاوة بعض العبارات، وكن يغنين أغنيات سودانية وهن يشتغلن في عملهن ولا ينقطعن عن الحديث والحكايات.

كانت المهمة الوحيدة للطباخين والطباخات هي تهييئ قائمة طعام معدة مسبقا، بتوابل معينة، وكانوا في الغالب يأتون بأدواتهم، كان الرجال يؤجرون عينا، فيأخذون بعض الأطباق ويتسلمون كذلك قطعة أو قطعتين من الثياب، لكن الأشغال المنجزة لفائدة المخزن استثنائية، فكان الطباخون يقبضون جائزة نقدية حددها السلطان نفسه. وكان يحق للطباخات أن يأخذن سلب الدجاج فيبعنه، وأجرة قليلة مناسبة للعمل المطلوب.

وقد كانوا كلهم يعرفون التشكيلة العادية للأطعمة المستعملة بفاس، لكن كل واحد منهم كان له طبقه المفضل الذي يحسنه بكيفية خاصة، وكان أكبر تنوع يسود طبعا في القوائم، حسب الوسط الاجتماعي للمضيف واهمية الحفل: كان يتنوع من الطبق البسيط للحم الخروف المشوي باللوز، المتبوع بالكسكسو بالدجاج، إلى ولائم المخزن الفاخرة التي يقدم فيها نحو عشرين طبقا متتالي.

دراسات لا تلزم أحدا!

تبدو لي الضجة التي أثارها تقرير المجلس الأعلى للحسابات حول ملفات الدراسات المنجزة بطلب من بعض الأحزاب ضجة عابرة، سرعان ما سينقشع غبارها بعد أن تهدأ الزوبعة الإعلامية الراهنة حولها. في السابق، ثار الضجيج نفسه- ربما أعلى قليلا- حول دراسات عديدة، لأسباب مختلفة، تارة بسبب غموضها والتباسها، وتارة ثانية بسبب 'علميتها' و'منهجها'، وتارة ثالثة بسبب تفاهتها وسطحيتها، وتارة رابعة بسبب الامتناع عن نشر مضامينها ونتائجها...

صحيح أن الدراسات موضوع هذه الضجة الآن ابتلعت أموالا طائلة بطريقة مثيرة للشبهة، إلا أن الواقع يعلمنا أن عشرات الدراسات المماثلة، سواء في القطاع العمومي أو الخاص، شهدت المسار نفسه في السابق، علما أنها أنجزت بمئات الملايين من الدراهم، واستغرقت زمنا مهما من حياة المؤسسات والأشخاص، دون أن تخلف أثرا ما على الساحة المغربية. ثمة مثلا دراسة، بل دراسات حول أسعار المحروقات وأرباح شركاتها، وأخرى حول الساعة الإضافية، وثالثة حول أهمية التدريس بالدارجة أو الفرنسية، ورابعة حول المجتمع المدني، وخامسة حول التعاقد، وسادسة وسابعة وثامنة... هل تحدث أحد عن تمويلاتها؟

لنترك أمر التمويلات جانبا، ولو مؤقتا. يستدعي المنطق من المرء أن ينظر إلى المسألة من جوانب متعددة. يكمن أحدها- وهو جوهري في نظري- في قيمة هذه الدراسات وأثرها في صوغ انتقال السياسة والمجتمع إلى مرحلة أفضل. إلا أن الملاحظ هو أن القيمة والأثر منعدمان في هذه الحالة، وفي الحالات السابقة. فإما أن هذه الدراسات تخطئ في التعبير عن واقعنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، بل لا تعكسه البتة كما هو، وإما أن من ينجزونها لا يتملكون ناصية لغة العلم، ولا يمتلكون الخبرة والأهلية والمنهج العلمي الذي يجعلهم قادرين على استخراج معاني هذا الواقع، وإما أنهم يخضعون لتوجيهات مسبقة تسعى إلى تحقيق غاية معينة لن تتحقق بالشروط العلمية المعمول بها.

قبل بضع سنوات، حضرت حفل تقديم نتائج دراسة ميدانية أجرتها مؤسسة رسمية حول واقع القراءة في المغرب. كان رئيسها يدافع باستماتة على نتائجها وخلاصاتها، الواردة في أرقام وإحصائيات، منها على سبيل المثال أن المغربي لا يقرأ إلا بمعدل 14 دقيقة في الأسبوع. بدت وقتها هذه الإحصائية مريرة، لا لأنها تعبر عن واقع مرير، بل لأنها لا تؤثر في السياسات العامة، حتى لو كانت دقيقة علميا؛ إذ لا يقرأها أحد، أكان من الدائرة الرسمية أو النخبوية، أو حتى الشعبية.

محيبة هذه الدراسات تكمن في القراءة، أو في انعدامها بالأحرى. فهي تدخل في إطار المزايدة السياسية؛ أي أن المؤسسة الحكومية أو الحزبية أو غيرها تقدمها على أنها الحجة الدامغة التي تبرر مواقفها وخطواتها، خاصة عندما تشتد وطأة الاعتراض على قرار ما، كما حصل بعد اتخاذ قرار زيادة ستين دقيقة إلى عقارب الساعة المغربية التي كانت توافق توقيت 'غرينيتش' الدولي. فنتائج تلك الدراسة الباهتة التي قدمها محمد بنعبد القادر، الوزير المنتدب المكلف بإصلاح الإدارة والوظيفة العمومية في حكومة سعد الدين العثماني، لم تقنع أحدا، ذلك أن موقف الاعتراض على القرار ما يزال يتجدد إلى يومنا هذا، خاصة حين يهل هلال رمضان الذي يشهد العودة الدائمة إلى التوقيت السابق.

وبصرف النظر عن كل ما قيل حول طريقة تمويل هذه الدراسات، لا بد من الإشارة إلى أن التنمية والتدبير وتغيير القوانين وغير ذلك يحتاج إلى فهم أعمق لكل ظاهرة على حدة، مع مراعاة اشتراطات تحقيق تحولات تاريخية عامة وإيجابية في المغرب. كان الدارسون المغاربة في السابق يعون هذا الأمر وعيا تاما، لكن جهات معينة كانت ترفض ما ينتجونه من دراسات قيِّمة حول المغرب عموما، بظواهره وتحولاته السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة. لذلك أغلقت معهد السوسيولوجيا الذي كان يديره المفكر عبد الكبير الخطيبي، كما أغلقت شعبة الفلسفة، ومنعت كتابات كل من يحرض على قلق السؤال الساعي إلى بناء حضارة مغربية متجددة. ورغم أن هذا الوعي انتقل اليوم إلى بعض الجهات الرسمية، إلا أن ما ينتج من دراسات في الوقت الحاضر لا يعبر عن واقع الحال، بل يتخذ ميزات ليبرالية يكرس توجيهات الصناديق المالية وإملاءات الشركات العابرة للحدود الوطنية، كما يقوض الطابع الاجتماعي الذي ينبغي أن تكون عليه كل دولة. من هنا، تبدو هذه الدراسات، كلما خرجت إلى الوجود، كأنها دراسات لا تقنع ولا تلزم أحدا، بخلاف نظيراتها في الستينيات والسبعينيات التي كانت تحدث خلخلة حقيقية في الدولة والمجتمع معا.

محمد جليد

وزارة الثقافة تمدد أجال دعم الجمعيات والمهرجانات

مددت وزارة الشباب والثقافة والتواصل أجال تقديم طلبات عروض مشاريع دعم الجمعيات والهيئات الثقافية والنقابات الفنية والمهرجانات والتظاهرات الثقافية برسم سنة 2024، وذلك إلى غاية 20 مارس الجاري.

وأوضحت الوزارة، بحسب ما أعلنته الأسبوع الماضي، أن هذا الإجراء يروم تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين حاملي المشاريع من مختلف جهات المملكة، وتمكينهم من الوقت الكافي لتقديم مشاريعهم المقترحة للدعم، طبقا لمقتضيات دفتر التحملات. وذكرت الوزارة أن إيداع الترشيحات يتم إلكترونيا، لزوما وحصرا عبر المنصة المخصصة لإيداع الطلبات.

يذكر أن وزارة الشباب والثقافة والتواصل وسعت السنة الماضية قاعدة البرامج والفعاليات الثقافية والفنية المشمولة بالدعم، مع تركيز الاهتمام على محاور تهم تثمين التنوع الثقافي وتعزيز التعدد اللغوي وإبراز مقومات الهوية المغربية والبعد الثقافي الدولي للمغرب وانفتاحه على الثقافات الأخرى، وتثمين الموروث الثقافي المادي وغير المادي والحث على الحفاظ عليه وإدراجه في التنمية السوسيو-اقتصادية، وتشجيع مبادرات وتجارب المحتوى الإبداعي والرقمي.كما تهم هذه المحاور التحسيس بأهمية القراءة وترسيخ عادات القراءة لدى الأطفال واليافعين، وتنشيط المقاهي الأدبية، وتشجيع المبادرات النسوية والشابة في مجال تنظيم التظاهرات الثقافية، والمبادرات الثقافية الموجهة لساكنة المناطق النائية والعالم القروي، والبرامج والأنشطة الثقافية والفنية والتراثية الموجهة لمغاربة العالم، والمبادرات الثقافية الموجهة للطفل والشباب والمرأة وذوي الاحتياجات الخاصة، وتثمين وتشجيع البرامج والأنشطة الثقافية والفنية الموجهة للمهاجرين واللاجئين.

الرجل الذي كبرت أذنه".. مختارات قصصية

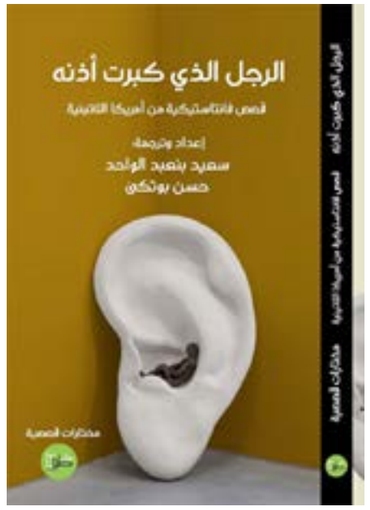

ضمن منشورات دار خطوط وظلال، صدر للمترجمين المغربيين سعيد بنعبد الواحد وحسن بوتكى مختارات قصصية من أمريكا اللاتينية، وهي بعنوان "الرجل الذي كبرت أذنه".تضم هذه المختارات نصوصا قصصية متنوعة تندرج في خانة الأدب الفانتاستيكي كما يمارسه كتاب أمريكا اللاتينية. وينتسب الفانتاستيك الذي يطالعنا في هذه النصوص إلى أعراق سارية في الأدب العالمي. فمنها ما يمتح من التخييلات القائمة على فكرة "الازدواج" ذي الطابع السيكولوجي، ومنها ما يطور فانتاستيك الفكرة الميتافيزيقية ذات الطابع الفلسفي أو الغنوصي، ومنها ما يستمد خصائصه من جماليات قصص "الرعب" حيث ينبثق الأثر من الأحلام الكابوسية ومن الرؤى المؤلمة، ومنها الفانتاستيك المنطبع بخصوصيات الغروتيسك والاستيهامات حول الجسد وانزياحاته عن الإرادة الإنسانية، راسما مصائر جديدة ومستغربة.

يجد القارئ أيضا في هذه الباقة الفانتاستيكية تلك النبرة الأمريكية اللاتينية التي لا تخطئها حواس القراءة. وربما تكمل هذه النصوص صورتنا عن عبقرية القصة في هذه الجغرافية الأدبية الغنية بروافدها الثقافية واللغوية المتنوعة.

استفتاء ينهي إحساس القرصنة الحضارية

في المغرب، لأنه ليس مملكة أنشأت بقوة القانون الدولي أو بقرار أممي، بل هو مملكة نشأت بمقتضى قاعدة شرعية أساسها ميثاق البيعة بين المغاربة والنسب الشريف على أساس مجموعة من الالتزامات والثوابت والمرتكزات والتعاقدات، وأنتجت على إثر ذلك حضارة لها من العمق ما يجعلها تقريبا جزءً من الحمض النووي للمغاربة. لذلك يعتبر النقاش حول المدونة خارج هذه المعطيات، مفترق طرق في سيرورة ومسيرورة الدولة المغربية وليس مجرد قانون كغيره من القوانين.

وبغض النظر عن أي موقف شخصي، فإن تفاعلات وردود أفعال الشارع المغربي حول ما تسرب لحد الساعة بخصوص مقترحات الأطراف المشاركة في صياغة مشروع تعديل المدونة، يظهر أن المواطن المغربي أصبح لديه إحساس بأن عملية قرصنة حضارية وسياسية للبلاد جارية على قدم وساق من طرف مؤسسات أصبحت غريبة عنه وأصبح غريبا عنها، حتى لا يكاد المغربي اليوم يعرف باسم من تتكلم هذه المؤسسات ولمن تشرع وتقترح أصلا، ويرى أنها استعملت بغير أمانة صلاحية الاقتراح الممنوحة لها، لتفرض مقترحاتها قسرا عليه، حتى يصل الأمر أحيانا إلى طرح سؤال مدى أهلية وشرعية أعضاء هذه المؤسسات القائمة أصلا على مبدأ التعيين، وفق المعايير والطرق التي يعلمها الجميع، لتثبيت منظومة قيمية واجتماعية لا تقنع سوى بعض الأقليات والأجندات الخارجية ضدا على التوجه الساحق للشعب المغربي.

> **المواطن المغربي أصبح لديه إحساس بأن عملية قرصنة حضارية وسياسية للبلاد جارية على قدم وساق**

السؤال الذي يطرح نفسه بخصوص مدونة الأسرة ليس ذلك المتعلق ببعض الفصول والأبواب، وإنما هو ذاك الذي يتعلق بالمغزى من النقاش ذاته، ذلك أنه يتجاوز حدود النقاش المجتمعي ليتحول إلى صراع بين مجتمعين: مجتمع أقلي مدعوم ومجتمع أغلبي مكلوم.

وإذا كان النقاش من حيث المبدأ يعتبر ظاهرة صحية، فإن هذا النقاش بالضبط يعكس حالة مرضية تتعلق بمعاناة حقيقية وعميقة للجسم المغربي حول حقيقة وجود مشروع مجتمعي للمملكة المغربية من دونه، وليس فقط، بل هو نقاش حول شكل الدولة نفسها

وحيث إن الأمر كذلك، فإن الحسم في المقترحات المتعلقة بمدونة الأسرة يحتاج، لمصلحة الجميع، أن يمر عبر استفتاء شعبي، تتم الدعوة إليه طبقا لمقتضيات الدستور، وإن كانت هذه التي صارت تسمى "أزمة المدونة" دليلا على الحاجة إلى تعديل الدستور ذاته، لأن الفشل في التوافق بين مختلف المؤسسات، لحد الآن، حول ما الذي يجب أن تحمله المدونة لمصلحة الأسرة المغربية، إنما يندرج ضمن حالة من الفشل الجماعي للمؤسسات الدستورية المنبثقة عن دستور 2011، والتي صارت إما مرتعا وراعيا للفساد، أو حصان طروادة لبث الخلافات والتفرقة وتغريب المجتمع المغربي عن نفسه وعن ثقافته.

فالمجلس الوطني لحقوق الإنسان صار نموذجا للفشل وتبذير المال العام ووكرا لتفقيس الخلافات السياسية والأيديولوجية بين مكونات المجتمع المغربي وضدا عليه، وهيئة محاربة الرشوة صارت فأل خير وبركات على الفساد بمختلف أنواعه في المغرب حتى ازدهر واخترق كل القطاعات السياسية والاقتصادية، ومجلس المنافسة صار مجرد شاهد على منظومة وعصابات الاحتكار في المغرب، بل وأحيانا غطاءً غير مباشر لها، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لا يبرر حتى ثمن الوقود الذي يصرفه أعضاءه في تنقلاتهم ولم يصدر عنه لحد الساعة ما يصعب الحصول عليه عبر محرك غوغل، والمجلس الأعلى للحسابات نفسه صار مستوجبا للمحاسبة نظرا للتكلفة المهولة، في ظل نتائج انتقائية وبدون أثر تقريبا على منظومة الفساد المستشري في شرايين البلاد، والأحزاب صارت عائقا في طريق ارتقاء المجتمع المغربي بواقعه اليومي، والبرلمان صار يشرع لأعضائه ولحماية مصالحهم وامتيازاتهم أكثر مما يشرع للمجتمع، وأعضاء الحكومة صاروا أطرافا في صفقات مالية وتجارية ضربت عرض الحائط بمبدأ التنافي والتنافس الحر، والآن وصلنا لمرحلة صار لدى الناس فيها إحساس بأنهم من الآن فصاعدًا سيأخذون أمور دينهم من المؤسسات والمنظمات الدولية ومن مجالس معينة ومؤقتة في الزمن، ومن برلمان وحكومة في حالة أزمة ، وليس مما تعارفوا عليه في الكتاب والسنة والمذهب.

لذلك قلنا إن الأمر جلل، وأن النقاش حول المدونة يشكل مفترق طرق لا ينفع معه سوى تفعيل المقتضيات المتعلقة بتنظيم الاستفتاء حتى تتمتع التعديلات المقبلة بدعمٍ مجتمعي يجعلها قابلة للتطبيق ويجنبها التحول إلى سبب للفتنة.

إرلينغ هالاند

إرلينغ هالاند.. مميزات صنعت "المنجنيق" النرويجي

محمد الحاجي

كان حظ الطفل النرويجي أرلينغ براوت هالاند، الذي ولد في مدينة ليدز الإنجليزية الحادي والعشرين من شهر يوليوز سنة 2000، أن وجد نفسه في كنف أب شهير لم يكن سوى لاعب ليدز يونايتد ومانشستر سيتي المدافع السابق آلف هالاند. كان الأب يرى منذ نعومة أظافر ابنه أن يشق له طريق المستقبل لكي يحمل اسم العائلة إلى مزيد من الشهرة والأضواء والتألق.

الطفل إيرلنغ بدوره أبدى طموحا لافتا لكي يصير محترفا من الطراز الرفيع، وظهر ذلك في بداياته عند عودة عائلته إلى مدينة برون مسقط رأس العائلة، هناك سينظم حياته على إيقاع كرة القدم وكيفية الاعتناء بجسده الضخم من حيث التغذية والنوم والتداريب، كل ذلك كان تحت نصائح وتوجيهات الأب الذي راكم سنوات طويلة في أعلى مستويات المحترفين في كرة القدم.

كان ذلك إيذانا بولادة نجم جديد بدأ يتلمس طريقه ببطء وسط العناية التي أحيط بها من طرف أسرته الصغيرة. انضم في بداياته إلى نادي برون القريب، ثم إلى نادي مولدا، وبعد ريدبول سالزبورغ النمساوي وبروسيا دورتموند، ثم حاليا مع العملاق الإنجليزي مانشستر سيتي.

تنقل في مدة قصيرة بين الأندية بشكل تصاعدي، وأينما حط رحاله كان الفتى العملاق الصغير يثير الانتباه ببنيته الجسدية المذهلة التي لا تعيق سرعته في الملعب ولا القذف بكلتا القدمين. إجادته للضربات الرأسية وحسه التهديفي جعلا منه ظاهرة نادرا ما تتكرر على المستوى العالمي، حيث يواصل اليوم تحطيم أرقام قياسية في الأهداف كانت قد صمدت لعقود طويلة، وأصبحت قيمته السوقية تساوي مبالغ فلكية.

هو ظاهرة فريدة، بحث في تفاصيل حياته الكثير من المهتمين والصحفيين والمحللين، وتوصلوا إلى أن إرلينغ هالاند توفر منذ صغر سنه على مميزات هي التي تساعده حاليا على نحت اسمه في تاريخ أقوى بطولة عالمية لكرة القدم.

يكره الخسارة

لا يتعامل إرلينغ هالاند مع الخسارة بوصفها خيارا محتملا، ولا يحب وضعها في قائمة الاحتمالات الرياضية بسهولة. كان هذا تعبير مدربه ألف بيرنتسين وهو طفل صغير، عندما كان إرلينغ يلعب تحت إمرته في مدينة برون التي تقع غرب النرويج لمدة 12 عاما، حيث قال: "كان يبدو سعيدا جدا عندما نفوز، لكن يجهش بالبكاء عندما نخسر مباراة غير مهمة".

الحب اللامتناهي للانتصار، رافق إرلينغ هالاند في كل محطاته الكروية عبر الأندية التي لعب لها، ويظهر ذلك جليا في طريقه احتفاله بالأهداف التي يسجل، وأيضا في انتشائه اللافت بعد تحقيق الانتصار في كل المباريات.

متأقلم مع المتغيرات

يرى إرلينغ هالاند أن التأقلم مع المتغيرات شيء حتمي، وربما هذا ما جعله قادرا على النجاح مع الفرق التي لعب لها، حيث إنه يستطيع التأقلم على الانتقال من أسلوب لعب إلى آخر، ومواكبة متغيرات كل أسلوب وتفهُّم الفروق بينها.

من عادة هالاند أن يدخل إلى منافسة جديدة مع ناد جديد بسلاسة، حتى عندما غادر بلاده النرويج في اتجاه الدوري النمساوي، لم يكن يتطلب منه الكثير من الوقت للاندماج في مجموعته الجديدة، وكذلك فعل بعد انتقاله إلى ألمانيا، وبالضبط إلى نادي دورتموند. هناك في موسمه الأول بدا وكأنه يلعب في التشكيلة الصفراء منذ سنوات،

> **لا يتعامل إرلينغ هالاند مع الخسارة بوصفها خيارا محتملا، ولا يحب وضعها في قائمة الاحتمالات الرياضية**

في مانشستر سيتي وضعه بيب غواردیولا في مركز قلب الهجوم وانطلق يسجل الثنائيات والثلاثيات في أولى المباريات.

هي ميزة مكتسبة من تكوينه العالي الأول ومن توجيهات والده المثقلة بالتجربة والخبرة، كل هذا جعله مرنا وذكيا في الاندماج السريع في مختلف طرق وتكتيكات اللعب.

نظام حياة صارم

ماكسيميليان فوبر، زميل هالاند في نادي سالزبورغ النمساوي، هو أول مَن تحدث عن اهتمامه بالعمل على نظام غذائه ونومه، وعن حفاظه على عادات نوم صحية وتغذية مناسبة، مؤكدا أن "هالاند محترف من الدرجة الأولى، ومتواضع وجدي، وعلى أهبة الاستعداد دائما، وله طقوس خاصة للنوم الجيد والتغذية المتوازنة، مع العلم أننا نتحدث عن صبي صغير، لم يكن قد بلغ الخامسة عشرة بعد".

كان هالاند يتبع نظاما صارما ومحترفا في حياته منذ نعومة أظفاره، يقول بوري ستينسليد، مدرب ناديه السابق مولدا النرويجي: "عندما كان إيرلينغ في النادي، كان يأكل كالحصان، وربما يتبادر إلى الذهن الآن أن سبب وجود هذا النظام هو ألفي هالاند، والد إيرلينغ، لكن الحقيقة أن ذلك كان من الولد نفسه وهو الذي اختار كيف يصبح محترفا".

رياضيون يرفضون التطبيع مع إسرائيل

اتفاقيات التطبيع التي وقعتها الدول العربية مع إسرائيل، لم يتجاوز كثير منها الطابع الرسمي والدبلوماسي، إذ بقيت الشعوب تمانع ضد محاولة الكيان الغاصب مد حباله إلى داخل مجالات إنسانية، ليستخدمها في ترسيخ اسمه بين بلدان العالم، ومن هذه المجالات هناك النشاط الرياضي.

يسجل التاريخ الرياضي القريب أن العديد من الرياضيين العرب رفضوا أن تكون ممارستهم للرياضة وسعيهم للفوز بالبطولات مُبرزًا للتطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي من خلال مواجهة ممثليه في مختلف المحافل الرياضية،

وعلى الرغم من أن هذه المواقف يرفضها الكثيرون بدعوى عدم خلط الرياضة بالسياسة، إلا أن لها رمزية بليغة في فضح محاولات الكيان الصهيوني كسب مكانة "مثالية" عن طريق الرياضة، ولفت أنظار العالم لما ترتكبه الدولة الإسرائيلية المحتلة من إبادة وتقتيل في حق الشعب الفلسطيني الأعزل.

وهذه أبرز تلك الحالات

خلال الأعوام الماضية:

- عام 2009 رفض اللاعب المغربي مروان الشماخ مرافقة فريقه "بوردو" الفرنسي إلى إسرائيل لمقابلة نادي "مكابي حيفا" في دوري أبطال أوروبا لكرة القدم، مرجعا ذلك إلى أنه "مسلم وعنده مشاعر ولا يقبل ما يفعله الإسرائيليون في فلسطين". وأضاف الشماخ أن "الكل يعلم أنني مسلم، وهناك عديد من الأمور غير المقبولة تحدث في تلك الأراضي تجاه الشعب الفلسطيني سواء من اعتداءات أو عملية الاستيطان الصهيونية في الضفة الغربية، وهو ما لا أقبله بالمرة".

- في أكتوبر من عام 2011، انسحبت المصارعة الجزائرية مريم بن موسى من بطولة العالم، التي أقيمت في العاصمة الإيطالية روما، بعد أن أوقعتها القرعة مع الإسرائيلية شاهار ليفي تحت وزن 52 كيلوغراما. وبررت بن موسى انسحابها بموقفها النابع من تضامنها المطلق مع الشعب الفلسطيني في ما يتعرض له.

- في عام 2012، أثيرت ضجة إثر إعلان منتخب الهوكي المصري رفضه اللعب ضد إسرائيل، في إطار فعاليات بطولة العالم للهوكي، التي أقيمت في أوروغواي، وصرح لاعبوه أنهم لا يعترفون بوجود دولة اسمها إسرائيل.

- في فبراير 2012، وفي بطولة العالم للجودو التي أقيمت بمدينة دوسلدورف الألمانية، تمهيدا لأولمبياد لندن 2012، رفض اليمني علي خصروف (المصنف 62 عالميا) النزال ضد خصمه الإسرائيلي لوزن تحت 60 كيلوغراما.

- في الدور التمهيدي الثالث، لمسابقة دوري أبطال أوروبا عام 2013، رفض محمد صلاح، نجم ليفربول الإنجليزي، مصافحة لاعبي فريق مكابي تل أبيب، عندما كان لاعبا في فريق بازل السويسري، وتعلل وقتها بربط حذائه، وفي نهاية المباراة أسرع صلاح إلى غرفة خلع الملابس دون أن يصافح أو يبدل قميصه مع أي من لاعبي الفريق الإسرائيلي، كما جرت العادة في مثل هذه اللقاءات.

- وفي 2015، رفض اللاعب المغربي يونس بلهندة، لاعب نادي دينامو كييف الأوكراني، السفر للعب في إسرائيل مع فريقه، وادعى المرض تفاديا لإمكانية توقيع عقوبة عليه من الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) بسبب قوانين خلط الرياضة بالسياسة.

- في بطولة العالم لرياضة "الموي تاي بوران" لسنة 2012 التي أقيمت في التايلاند، فضّل الملاكم اللبناني يوسف عبود (23 عاما) التضحية بالميدالية الذهبية، وقرر الانسحاب بعد أن تأهل لمواجهته لاعب إسرائيلي، وصرح أنه يهدي ميداليته الفضية لممارسي الملاكمة ا لفلسطينيين .

– وفي سنة 2017 رفض الحكم التونسي محمد علي الشريف

التحكيم في مباراة أحد أطرافها رياضي من إسرائيل ضمن بطولة العالم للكاراطي في إسبانيا، وتعرض للمساءلة من الاتحاد الدولي للكارتيه لمنعه من التحكيم لاحقًا، لكنه قال إن هذا الامتناع "جاء عن قناعة خالصة عندي بضرورة مقاطعة الكيان الصهيوني".

– اللاعبة التونسية في رياضة المبارزة بالسيف، عزة بسباس، رفضت مبارزة اللاعبة الإسرائيلية ناعومي ميلس خلال مباراة الدور النهائي لمونديال كاتانيا للمبارزة عام 2011، فوقفت بلا أي حركة فوق منصة المبارزة أمام اللاعبة الإسرائيلية في مبارزات الدور النهائي، كإعلان بشكل واضح مقاطعة المبارزة، ولتتجنب في نفس الوقت أي قرار من الحكام قد يدينها ويحرمها من المشاركة في مبارزات أخرى بسبب المقاطعة.

– في العام 2012 أحرز المنتخب الكويتي لكرة الطاولة في فئة ذوي الاحتياجات الخاصّة، ميداليتين برونزيتين في بطولة رومانيا الدولية المفتوحة، لكن لاعب المنتخب عوض الحربي استُبعد من البطولة بعد أن رفض لقاء منافسه الإسرائيلي ليران جيفع في الدور نصف النهائي للمسابقة رغم أن الفرصة كانت مُتاحة أمامه للحصول على إحدى الميداليات الملونة، وقال الحربي يومها في حديث لوكالة الأنباء الكويتية: "انسحابي رسالة أود تقديمها إلى الأمة العربية والإسلامية بأنه لا يمكن أن أشارك من يصافح بيد ويطعن باليد الأخرى وهذا تضامن واضح مع القضية الفلسطينية العادلة".

– فضّل المصارع الليبي في لعبة الجودو محمد الكويسح الانسحاب من بطولة العالم للجودو التي

> **العديد من الرياضيين العرب رفضوا أن تكون ممارستهم للرياضة مُبررًا للتطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي**

أقيمت عام 2015 في كازاخستان بعد أن وضعته قرعة منافسات وزن 60 كيلوغرامًا أمام اللاعب الإسرائيلي أرشانسكي أرتيوم، رغم أن تلك البطولة كانت مهمة لأن من خلالها كان يتم ترشيح اللاعبين الذين سيشاركون في دورة الألعاب الأولمبية في ريو دي جانيرو بالبرازيل عام 2016.

– رفض لاعب المنتخب المصري السابق والنادي الأهلي المصري محمد أبو تريكة خوض مباراة ودية دولية في إيطاليا من أجل السلام عام 2014 بعد تلقيه دعوة رسمية من بابا الفاتيكان السابق، فرانسيس الأول، لكن أبو تريكة اعتذر عن المشاركة بسبب مشاركة اللاعب الإسرائيلي يوسي بنايون في المباراة.

– مثّل الطفل التونسي محمد حميدة صاحب السنوات العشرة بلاده في بطولة العالم للشطرنج التي جرت في مدينة أباثي برومانيا عام 2016، وانسحب من البطولة تفاديًا لملاقاة لاعب إسرائيلي، وقال: "لن أواجه قاتل أخوتي في مجرد لعبة"، وصرح يومها لقناة تليفزيونية أن انسحابه جاء تضامنًا مع أطفال فلسطين ومساندة لأطفال غزة المحاصرين".

– انسحبت بطلة رياضة الجيدو السعودية جودي فهمي من منافسات أولمبياد ريو دي جانيرو عام 2016 بعد أن أوقعتها القرعة مع اللاعبة الإسرائيلية جيلي كوهين، على الرغم من أنها الأفضل في المتنافسين على وزن 52 كيلوغرامًا، وصرحت اللجنة الأولمبية العربية السعودية وقتها بأن اللجنة الطبية أوصت بعدم مشاركتها في منافسات الجودو بسبب الإصابة، لكن الجميع كان يدرك أن السبب تجنب مواجهة اللاعبة الإسرائيلية.

تطوير وتأهيل مدونة الأسرة أو امتحان النضج الفكري والوطني

حسناء أبو زيد

يُذكي ورش تأهيل وتطوير المجتمع من بوابة القوانين المنظمة للعلاقات بين الجنسين بشكل عام، وعلى مستوى مدونة الأسرة تحديداً، اشتباكات سياسية وثقافيةٌ ونفسيةٌ صاخبةٌ، حوّلت المَتاح من النقاش إلى نزالات بين أطراف سياسية وحزبية ومؤسسية.

وإذا كانت المنهجية المعتمدة، على "تقليديتها"، تروم بالأساس تأطير وتنظيم العملية التشاورية وما يتخللها من مواجهات بين الأطراف المُختلفة، فإنها ذاتها تُسهِمُ في سحب البساط من (تحت) اللجنة المكلفة نفسها وتبسطه أحمدياً أمام أنموذج مكرور من الصراع حول مدونة الأسرة المغربية.

> **المواطن المغربي أصبح لديه إحساس بأن عملية قرصنة حضارية وسياسية للبلاد جارية على قدم وساق**

لا يمكن فصل ما يعتور النقاش المفتوح حول مدونة الأسرة من جنوح عن قواعد التبادل والتفكير والسعي إلى بلورة تصور مشترك لمبادئ ناظمة للعلاقات داخل الأسرة في مختلف حالاتها، عن محاولة إحياء رميم مشهد سياسي ومدني، خنقه الكساد السياسي الذي ترزح تحته بلادنا منذ ما بعد الانتخابات التشريعية لسنة 2016، والذي تترجمه أزمة الديمقراطية التمثيلية وأزمة الحياة الحزبية وأزمة تدبير المال العام بأبعادها السياسية والمؤسسية.

وبعيداً عن أي حكم متسرع أو محاكمة للنيات أو تبخيس للمساهمات أو المبادرات، فإن واقع الفعل الجماعي بعناصره السياسية والحزبية والمؤسسية والمدنية عموما، لا يبعث على الثقة، بل يذكي حالة من الارتياب حول دواعي افتعال صراع حول مخرجات ورش مدونة الأسرة؟ فهل ستُوظف أعطاب مدونة الأسرة المغربية لتُنقذ "قوانا الحية" و تفرد لها حيزاً من التتبع والاهتمام الشعبي؟؟

وإن كنت أعتقد في جدوى الانكباب على معالجة أعطاب إنفاذ مقتضيات مدونة 2003 كمدخل لتطويرها، درءا لتأثير تداعيات النسق السياسي والثقافي الذي يهيكل واقعنا ووضعية التقشف السياسي والفكري الذي نرزح تحته، إلا أن معالجة العوارض المتعلقة بالتطبيق القضائي، لن تغني عن الغوص في أصل الإشكالية وامتداداتها، إذ أن الصعوبات التي يواجهها القضاء في تطبيق مقتضيات مدونة الأسرة راجعة إلى أسباب "عضوية" تخص إصلاح القضاء تنظيما وآليات وأدوات وموارد بشرية من جهة، لكنها بالأساس راجعة إلى التردد الذي يطبع هوية مدونة الأسرة، والذي يُخفي بدوره حيرة المنظومة السياسية وعجزها عن حسم سؤال المرجعية الناظمة لمسألة تنظيم العلاقات بين الرجال والنساء بشكل عام، أو كأطراف للأسرة في كافة أشكالها وفي مختلف مناحي مصالحها وحالاتها.

فإذا كانت الشريعة الإسلامية أهم مصدر للتشريع فما الذي يمنعنا من ربطها بمرجعية الواقع والتحولات والمصالح والمقاصد والاجتهاد والتطور؟ وما الذي يدفع المحافظين إلى الهرولة إلى سياسة الأبواب الموصدة أمام كل أبحاث التجديد والتنوير وربط الشريعة بالحياة والتطور، في وجه من يعتبرونهم غير مؤهلين للخوض في فلسفة الشريعة وأحكامها، بإسقاط القدرة والعلمية والكفاءة عن كل المختصين والعلماء والباحثين في غير أصول الفقه والشريعة؟ وما الذي يحث الحداثيين على قبول احتكار

المحافظين الدينين للمرجعية الإسلامية في مدونة الأسرة وغيرها والتنفيذ "الطاعوي" لقرار النفي الإرادي والامتناع الذاتي عن المطالبة بالكلمة السواء في الشأن الديني، وحزم الحقائب والهجرة إلى كونية أحادية المنشأ والتطور، متجاهلة للتعدد الثقافي والفكري والقيمي؟

لقد أنتج عقل المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة ما يُفيد استيعابه للتأثير السلبي لماضيه على حاضره، وما يكشف دور الوعي التاريخي في فهم اختيارات وتأويلات السلف للنصوص الدينية، وما يصلح لفصل القيم الإسلامية عن تأثير السياقات الاجتماعية والتاريخية على التشريعات، وما يدفعه لتحرير تعاليم دين الرحمة والعدل والمساواة من قبضة تراث الغلبة والسلطوية باسم الدين، بين الحاكمين والمحكومين وبين الجنسين رجالاً ونساءً وبين الطبقات اجتماعية والعرقية وغيرها.

وإذ لا أرى الحاجة إلى سرد ما يعرفه الجميع من حالات مثبتة، عطلت بل ونُسخت فيها بتفعيل أحكام واضحة في القرآن الكريم، على يد صحابة رسول الله (ص) دون أن يُدفع بخروجهم على الجماعة أو فسقهم أو ردتهم، فهل أقدموا على تصحيح أوضاع معينة لأنهم صحابة رسول الله (ص) وأكثرهم استيعاباً للقيم القرآنية ولمقاصد الشريعة، أم لأنهم مالكون لأمر الأمة وقائمون بالثقة والمشروعية على أمرها السياسي وشؤون الدولة أو باللغة المعاصرة، مشرفون على النظام العام وعلى السلطة السياسية، وهذا ما ذهب إليه جملة من الباحثين في التراث وفي فكر وفلسفة المسلمين بعد أن قنطوا من الفشل المتواصل لدعاة التنوير من السلفيين من داخل المنظومة نفسها. إن كل نظريات النهضة والتجديد، وكل المشاريع التي تنبثق عنها، تجد نفسها وبسرعة أمام منحدرات غير آمنة، يُوظف فيها الدين عقبة أمام الدور الحقيقي والناظم للدين نفسه في المجتمعات، ولصالح أنظمة أو مجموعات وخدمة لتوجهات وأهداف بعينها. و يقول التاريخ إن الفهم و التأويل العملي والواقعي لمختلف درجات الأسانيد من قرآن وسنة و تجارب الصحابة وأهل الذكر خضع بدوره إلى عوامل ثقافية وسياسية واجتماعية بل ومصلحية ونفسية. ألم يُقتل مفكر الإسلام علي بن طالب كرم الله وجهه بالحق الذي أريد به باطل؟ ألم يرفع الخوارج في وجهه القرآن الكريم بالتفسير الحرفي الأصم المتجزئ للآية الكريمة، ألم تُعقد أسواق النخاسة وبيع البشر من إماء وعبيد و"خميان"، وغنائم بشرية من نساء وأطفال ورجال في مواسم الحج وقرب الحرمين وفي حضور صحابة رسول الله (ص).

واختصاراً ألم ترتهن قيم الدين الإسلامي إلى مؤثرات مجتمعية خالصة بجذورها العرقية والطبقية، وأعرافها وموروثاتها، فكان طبيعيا أن تتشكل المفاهيم والأحكام من داخل قوالب هاته المؤثرات، فشُرع للحرة وشُرع للأمة، وتباينت الأحكام في النازلة نفسها بين الحرة وغير الحرة. فهل يعني هذا أن الدين الذي أنزل على الناس اللذين ولدتهم أمهاتهم أحراراً، واللذين لا فضل لعربيهم على أعجميهم ولا أبيضهم على أسودهم، ولا أسودهم على أبيضهم إلا بالتقوى، يستقيم أن يُشرع باللون والعرق والجنس والطبقة الاجتماعية؟ ثم ألم تُأوّل القوامة وإلى عهود قريبة جداً بحرمان الإناث من الإرث بشكل عام ومن امتلاك الأرض بشكل خاص، وبقبول تقديم الذكور على الإناث في الحق في تحصيل العلم وممارسة التجارة والسياسة والسلطة، وبالمنع القانوني والأخلاقوي من المشاركة في الحياة العامة من سياسة ومسؤوليات، ألم تُشَغّل القاصرات في جل الأقطار الإسلامية لضمان الكفاف للقوامين من الذكور آباءً وإخوانا وأزواجا، ألم تُفَسّرْ القوامة بشرعنة العنف والغلظة وكافة أشكال الممارسات المسيئة للإنسان، أليست "جريمة الشرف" القابعة في تشريعات جل بلدان المشرق العربي استباحة للنفس التي حرم الله إلا بالحق، تطوراً حتمياً لمفهوم القوامة في حاضنة السلطوية الذكورية، ألم تُأوّل القوامة بلغة المجتمعات ومباركة السلطة الدينية إلى حالة من اللامساواة بل وإلى حالة من الدونية المُشرعنة بين الجنسين والكثير الكثير من مظاهر غلبة التراث والأعراف وقوانين "ماوجدنا عليه آباءنا " التي فرضها السياق التاريخي بعناصره الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.إن القوامة التي يقصدها ديننا الحنيف هي تكليف أخلاقي وميثاق غليظ تحكمه المروءة والسمو والكرم وحسن الخلق والمودة والرحمة والإيثار، ويرمي إلى معالجة رواسب الحاضنة الحضارية الموروثة والرقي بسلوك الرجل إلى ما فوق تراكمات التجربة البشرية قبل نزول الرسالة المحمدية في علاقته بالطرف الآخر، وتشذيب الانحرافات والترسبات الاجتماعية المترسخة منذ ما قبل الإسلام.

> **المقاربة المنتهجة من قِبل الحداثيين والتقدميين تستبطن أسباب إضعافها**

إن المقصود من هذا التزر

القليل من الكثير الذي يأثر به تاريخنا و تدونه كتبنا بمختلف اهتماماتها شرعية، فقهية، اجتماعية أو سياسية، ليس الوقوف على فكرة تأثير التراث البشري على القيم والمقاصد الدينية، والقوامة أ نموذج ناظم للخلاف القائم بين المختلفين حول التطوير الذي يجب أن يطال العلاقة بين الرجال والنساء في الأسرة أو في المجتمع بصفة عامة ، بل المقصود هو التساؤل حول أسباب امتناع أهل العلوم الشرعية من علم العقيدة وعلم الحديث وعلم الفقه وأصوله وغيرها من التفاعل مع كل ما وثقه التاريخ و الممارسة و ما يقوله المخالفون؟

وعلى الضفة الأخرى، يقترح الحداثيون نظاما علائقياً ينبني على المساواة بين الرجال والنساء في الحقوق والواجبات وينتصر لمرجعية التحولات المجتمعية وكلمة الواقع المعيش مستنساً بمبادئ كونية والتزامات بالمعاهدات الدولية، إلا أنه يدفع بدون تقعيد واضح إلى خيار القطيعة الاصطلاحية والمفاهيمية، ويدفع بأطروحة أن كل ما يستند إلى السجل المفاهيمي الديني هو بالضرورة مستبطن لحيف جنساني مخل بقواعد المساواة بين الرجال والنساء، والحال أن المقاربة المنتهجة من قبل الحداثيين والتقدميين تستبطن أسباب إضعافها بل وتسهل عزلها واستهدافها وإمكانية التهييج الإيديولوجي بل والشعبي ضدها وتجعلها صيداً سهلا للسوقية السياسية والاستعداء الايديولوجي والفكري وللاستنكار الشعبي، إذ لا يستقيم بقواعد العلوم الاجتماعية والإنسانية والقانونية ، أن نحاول تغيير مرجعية مجتمع من خارج الروافد المغذية لعقله ولثقافته وفكره، ومن خارج الدوائر الناظمة لمرجعياته ونظم تفكيره وتفاعله، إذ نرى مثلا مطالب بتحييد اللغة والمفاهيم القانونية من أثر الشريعة والاستعاضة عن المفاهيم والمبادئ المؤطرة للعلاقة بين الجنسين بلغة معاصرة محايدة المرجعية، متحررة من الصراع التاريخي والثقافي والمذهبي حولها ، فتنادي بحذف مفاهيم بعينها أو بإسقاطها من اللغة القانونية لارتباطها بسياقات معينة أو بشروط وظروف بائدة، كالقوامة والصداق والمهر والمتعة والعدة وغيرها، واعتبارها مخلة بتصور معين للمساواة بين الرجال والنساء، وحاطة بكرامة النساء!!

وإذا كانت الفكرة بحد ذاتها مشروعة من باب التجديد ومسايرة العصر والتحلل من الترسبات التراثية وبناء مجتمعات مدنية، لكنه تجديد يجب أن ينطلق من لياقة فكرية وعلميّة قادرة على استيعاب واقع ديني وفكري وثقافي، ترعاه أسانيد مقدسة وأصول عتيدة و تؤطره علوم فقهية وشرعية و تدبر اختلافاته صروح مذهبية جامعة مانعة، وتزرع الفتنة عند نواصيه متاريس التراث والأعراف و"ما وجدنا عليه آباءنا وسلفنا والأولون"، إذ يستحيل كما تؤكد مفاهيم وقواعد علم الاجتماع أن تُغَيّرَ ثقافة من خارج ذاتها، وبغير أدواتها وبمعزل عن عناصرها ومكوناتها وروافدها، كما أن مقاربة التغيير من خارج الدوائر العقدية والثقافية والفكرية القائمة لا يمكن أن تُفضي إلا إلى مقترحات مجتزأة لا تصمد أمام تجذر المرجعية الدينية وموضوعية الحاجة إليها.

إن الحداثة بما هي عملية متسلسلة للتغيير الفردي والجماعي المنبعث من قلب المجتمع، ليضعه على طريق التطور والتجدد والانطلاق ممتطيا الوعي التاريخي وممتشقاً سيف العقل والعلم والتجريب وتحليل الواقع والانطلاق منه، تفرض على الحداثيين والحداثيات منهجاً أكثر تدقيقاً في معركة إحقاق المساواة بين الرجال والنساء ينطلق أولا من تحديد المقصود بالمساواة بين جنسين مختلفين فيزيولوجياً ونفسياً ووظيفيا، يملآن على مستوى الأسرة والمجتمع وظائف ومهمات وأدواراً متباينة ويوظّفان قدرات وكفايات مختلفة ومتباينة، وهو تحديد مفاهيمي مركزي يجيب في اعتقادي على تساؤلات عديدة لعل أحدها هو: هل المساواة في الحقوق المدنية والسياسية هو أعدل وجوه المساواة بين الرجال والنساء، ما هو شكل المساواة الذي يستدمج الاختلافات المميزة لكل من النساء والرجال وأثرها على الأدوار الموكولة إليهما في الأسرة وفي المجتمع؟. ..

إن للحداثيين والحداثيات في الأقطار ذات الأغلبية المسلمة أدوارا أكبر وأعقد على طريق إقرار المساواة بين النساء والرجال، تتجاوز مهمة تأمين قنوات نقل المفاهيم والمبادئ من الاتفاقيات والمواثيق الدولية والتعريف بتصوراتها واختياراتها على أهميتها، واعتبارها أقصى المتاح، بل وتتجاوز فكرة ملء مقعد الخصومة مع التراثيين الإسلاميين -إذا صح هذا التعبير- وتتجاوز مرحلة الاستئناس بالتجارب المقارنة بإيجابياتها وسلبياتها إلى ورش نحت مرتكزات مفهوم المساواة الحقة والنافعة بين النساء والرجال من داخل الرقعة الثقافية والدينية والمرجعية الحقوقية الكونية.

الثور الجريح

حمزة الأنفاسي

قبل أسبوعين، خرج مجموعة من الأشخاص الذين يدعون انتماءهم لمنطقة الريف المغربية ليعلنوا عن تأسيسهم لمكتب تمثيلية "جمهورية الريف" في الجزائر. هذه الخطوة تعتبر تصعيدا جديدا من قبل السلطات الجزائرية التي ما فتئت تنقب عن أية طريقة للإضرار بمصالح المغرب، مؤسساته وشعبه.

فبعد وقوفها وراء إنشاء "الحزب الوطني الريفي" قبل أشهر في العاصمة البلجيكية بروكسيل، ها هي الآن تزيد من تصعيدها بفتح تمثيلية في الجزائر لمجموعة من الانفصاليين الذين لا يعبرون عن أية ديناميات حقيقية داخل منطقة الريف المغربية. في حين أن الجزائر قد أقامت الدنيا ولم تقعدها عندما أشار سفير المغرب لدى الأمم المتحدة مجدر إشارة إلى أن هناك منطقة القبايل في الجزائر التي تستحق من دولة الجزائر أن تنظر في أحقيتها في مبدأ تقرير المصير الذي تريد أن تطبقه على دول أخرى.

هذه الخطوة التي انخرطت فيها الجزائر وإن بدت عدائية في ظاهرها، فهي نقطة مهمة يجب ضمها إلى حزمة الحجج التي في جعبة المغرب، والتي من خلالها يشرح للعالم موقفه مما يقوم به الجار الشرقي للمغرب.

بصيغة أخرى، هذه الخطوة تقطع الطريق أمام فكرة أن الجزائر تقدم الدعم لانفصاليي الصحراء لأن القضية مطروحة أمام الأمم المتحدة، وأن الجزائر لا تقوم إلا بدعم طرف من أطراف نزاع أممي، وكون الجزائر تحترم سيادة المغرب على أرضه.

بدعمها لانفصاليي الريف، فالجزائر تعلن بشكل واضح ومباشر على أن كل الكلام عن دعمها للشعوب التواقة للتحرر كلام فارغ، وأن غرضها الحقيقي هو تفكيك المغرب ودعم كل من يستطيع مساعدتها في ذلك، وإن كان على حساب الأعراف الدبلوماسية واحترام مبدأ سيادة الدول على أراضيها وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

الجزائر دعمت مرتزقة البوليساريو لعقود بالسلاح والمال والغطاء الدبلوماسي، وعندما لم تنجح في تدمير الوحدة الترابية والوطنية للمغرب، صعدت من قراراتها بقطع العلاقات الدبلوماسية ثم المجال الجوي مع المغرب، وها هي الآن تخطو خطوة خطيرة بدعمها لهؤلاء الانفصاليين عوض البحث عن سبل لخفض التوتر في المنطقة.

لوضع الأمور في سياقها الإقليمي، فالجزائر هذه الأيام في صراع علني مع دولة مالي التي لها حدود مشتركة مع الجزائر وهناك إشارات إلى احتمال تصعيد الوضع بين البلدين. كما أن علاقة الجزائر بعدة دول أخرى في المنطقة ليست على ما يرام، مما يطرح الكثير من الأسئلة على القائمين على الوضع في الجزائر.

ففي الوقت الذي تتجه فيه دول ومناطق عديدة نحو التكتلات الإقليمية، لما لها من قدرة على توحيد الصفوف لمواجهة المخاطر العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية المشتركة، تحاول الجزائر بلقنة المنطقة، مما قد يخلف مزيدا من القلاقل في منطقة متوترة أصلا ولا تحتاج لمزيد من التصعيد.

> **الخطوة تقطع الطريق أمام فكرة أن الجزائر تقدم الدعم لانفصاليي الصحراء لأن القضية مطروحة أمام الأمم المتحدة**

فمنطقة الساحل معروفة بعدة أنشطة لا تساعد على الاستقرار كالتهريب والهجرة غير النظامية والجماعات المتطرفة العنيفة وتجار المخدرات، وكل هاته الجماعات تنشط جزئيا في أقصى الجنوب الجزائري.

وعوض التركيز على خلق ديناميات إقليمية لمواجهة هذه الأخطار التي تهدد المنطقة وسكانها، فالجزائر تبحث عن أي سبيل من أجل تصدير أزمتها إلى الخارج وخلق بعبع خارجي تبرر به للجزائريين عدم جعل التنمية والانفراج السياسي أولى الأولويات.

على المغرب أن يكون حذرا في التعامل مع جزائر اليوم، التي فقدت الكثير من شرعيتها في المنطقة وعبر العالم. الجزائر اليوم تشبه ذلك الثور الجريح الذي يركل بعنف كل ما حوله قبل أن يسقط أرضا. لذلك فعلى المغرب ألا ينجر تجاه الثور الجريح فيسقط معه أرضا.

the Voice صوت المغرب

الصوت هنا... صوت المغرب.

the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة